

وابتغوا إليه الوسيلة

تأليف

الشيخ أحمد سلمان



وابتغوا إليه الوسيلة

تأليف

الشيخ أحمد سلمان

وابتغوا إليه الوسيلة

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م



تقديم: الشيخ علي آل محسن

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه، وأفضل بريته، محمد وآله الطيبين الطاهرين، وبعد:

فإن الشيخ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ) أثار مسائل عقدية كثيرة، صارت في حياته ومن بعد موته محلاً للأخذ والرد والجدال المحتدم بين مختلف الطوائف الإسلامية، وبين أتباعه السلفيين الذين تبنَّوا آراءه، وبذلوا جهوداً كبيرة في التأكيد عليها والدفاع عنها.

ومن جملة المسائل التي أثارها ابن تيمية وأتباعه مسألة التوسّل التي كتب فيها ابن تيمية كتابه (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة)، وضمَّنه كل آرائه التي من أهمها عدم تجويزه التوسل بذات النبي صلى الله عليه وآله، وبغيره من الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وقسَّم فيه التوسّل إلى توسّل جائز، وتوسّل محرَّم، وذكر أن من جملة التوسل الجائز هو التوسل بدعاء المؤمن كما توسّل عمر بن الخطاب بدعاء

العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وآله.

وقد أثارت آراء ابن تيمية في التوسل وغيره حفيظة جملة من علماء عصره وغيرهم، وكان ذلك من أسباب تصديهم للرد عليه، بل التحامل عليه، وقدحهم فيه، الذي تجاوز حدود النقد والتخطئة إلى التبديع، والتضليل، حتى قال تقي الدين السبكي (٦٨٣-٧٥٦هـ): اعلم أنه يجوز ويحسن التوسّل، والاستغاثة، والتشفّع بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى ربّه سبحانه وتعالى، وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين، المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين، وسير السلف الصالحين، والعلماء والعوام من المسلمين، ولم ينكر أحد ذلك من أهل الأديان، ولا سمع به في زمن من الأزمان، حتى جاء ابن تيمية، فتكلم في ذلك بكلام يلبِّس فيه على الضعفاء الأغمار، وابتدع ما لم يُسبق إليه في سائر الأمصار.

إلى أن قال: وحسبك أن إنكار ابن تيمية للاستغاثة والتوسّل، قول لم يقله عالم قبله، وصار بين أهل الإسلام مُثْلة. (شفاء السقام في زيارة خير الأنام: ٢٩٣).

ومع أن التوسّل مسألة فقهية، لا ترتبط بالعقيدة بأي نحو؛ لأنه داخل في أفعال المكلفين التي هي موضوع علم الفقه، إلا أن ابن تيمية وأتباعه أدرجوا التوسل في باب العقيدة، وحمَّلوه فوق ما يحتمل، فحكموا بأن التوسّل بالأموات، والاستشفاع بهم، وطلب الحوائج منهم، شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام.

وقد ورد في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

ـ وهي أكبر لجنة إفتاء في المملكة العربية السعودية ـ قول المفتين: الاستعانة بغير الله في شفاء مريض، أو إنزال غيث، أو إطالة عمر، وأمثال هذا مما هو من اختصاص الله تعالى نوع من الشرك الأكبر الذي يُخرج من فعله من ملة الإسلام، وكذا الاستعانة بالأموات أو الغائبين عن نظر من استعان بهم من ملائكة أو جن أو إنس في جلب نفع أو دفع ضر نوع من الشرك الأكبر الذي لا يغفر الله إلا لمن تاب منه؛ لأن هذا النوع من الاستعانة قربة وعبادة، وهي لا تجوز إلا لله خالصة لوجهه الكريم. (فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ١/ ١٧٢).

ولا يخفى ما في هذا الكلام من المجازفة الواضحة؛ لأن كل من يتوسَّل بنبي أو إمام أو ولي لا يعتقد أنهم أرباب من دون الله تعالى؛ ولا يختلف المسلمون في أن الحاجات كلها بيد الله تعالى، وأنه سبحانه هو الفاعل الحقيقي، وأنه هو المعطي، والرازق الواقعي، والأنبياء والأئمة عليهم السلام والأولياء هم وسائط بين العبد المذنب وبين الله تعالى، فيجوز للعبد الجاني أن يتوسل بهم إلى الله تعالى في قضاء حاجاته التي لم تُقْضَ بالدعاء المجرد، ولا سيما أن الله تعالى قال في كتابه العزيز: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة: ٣٥]، وقال سبحانه: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وإذا كانت الوسائل إلى الله تعالى كثيرة، فإن الأنبياء والأئمة والأولياء والصالحين من ضمن تلك الوسائل التي أُمر الناس بالأخذ بها.

والذي يظهر أن السبب الأساس لإنكار هؤلاء القوم للتوسل، والتشدد في تحريمه والزجر عنه، وتكفير فاعله، هو أن ابن تيمية وأتباعه السلفيين لما رأوا أن الشيعة دأبوا على التوسّل بأئمة أهل البيت عليهم السلام؛ لكثرة ما تحقق لهم من قضاء حوائجهم كما هو مستفيض عنهم بل متواتر، ورأوا أن التوسل بمن خالف أهل البيت عليهم السلام لا يؤدي إلى أي نتيجة، علموا أن فتح هذا الباب لأتباعهم يستلزم تشكيك الأتباع في إمامة الأئمة الذين يدعو السلفية لإمامتهم، كما أن تحريم ذلك يعطي السلفية مبرّراً في رفض المقارنة بين أئمة أهل البيت عليهم السلام وبين غيرهم من هذه الناحية.

وكيف كان فإن الكلام في التوسّل طويل متشعب، ولا يسعني في هذه العجالة أن أخوض في عبابه؛ لكثرة مباحثه، وكثرة ما ذكر فيه من التشكيك والتشويش. وقد اطلعت على ما كتبه الباحث المتتبِّع الشيخ أحمد سلمان، فوجدته قد استوفى البحث في أهم النقاط التي تمس الحاجة إلى بيانها، فأوضحها ببيان حسن، وبأسلوب جميل سلس، فجزاه الله خير الجزاء على ما كتب، ووفقه إلى المزيد من البحوث النافعة، التي يحتاج إليها الناس، وأسأله سبحانه أن يجزل له الثواب، وأن يجعل عمله مقبولاً عند رب الأرباب، ومرضيًّا عند محمد وآله الأطياب، بمنّه وجوده وكرمه، إنه أكرم الأكرمين، بحق محمد وآله الطيبين الطاهرين.

في ٧ جمادى الثانية ١٤٣٢هـ علي آل محسن



الحمد لله رب العالمين فاطر السماوات والأرضين، وبارئ الخلائق أجمعين، وبه نستعين، وأفضل الصلاة وأزكى التسليم على سيِّد الأنبياء وخاتم المرسلين، المبعوث المسدَّد، المنصور المؤيَّد، المصطفى الأمجد، المحمود الأحمد، أبي القاسم محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين المنتجبين، واللعنة الدائمة على أعدائهم ومبغضيهم من الآن إلى قيام يوم الدين، وبعد:

فإنه من نعم الله علينا أن منَّ علينا بالاسلام المحمدي الأصيل، فجعلنا شيعة لآل المصطفى صلوات الله عليهم أجمعين، نستقي منهم عقيدتنا، ونقتدي بهم في عباداتنا، فنكون من الناجين الفائزين يوم الحساب.

وبداعي البغض لأهل البيت سلام الله عليهم وشيعتهم حاول بعضهم إلصاق كل شنيعة بهم، فكالوا لهم الاتهامات، ووجَّهوا لهم الافتراءات، وصاروا ينبزون أهل الحق بأسوأ الألقاب، حتى أدرجوا مذهب الشيعة في زمرة المذاهب الخارجة

والأديان الفاسدة، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

ولعل من جملة التُّهم التي أُلصقت بالشيعة أن عقيدتهم مشتملة على الشرك، بل حكموا عليهم بأنهم مشركون كما نسمع من الزُّمر التكفيرية التي لا تتوانى عن تفريق الأمة وتمزيق طوائفها.

فإذا سألنا هؤلاء: ما هو مستندكم لهذا الاتهام؟

قالوا: إنكم أيها الشيعة تدْعُون عليًّا من دون الله، وتستغيثون به في النوائب، وتتوسَّلون بغيره من أهل البيت وغيرهم من الموتى، وهذا شرك أكبر مخرج عن الملة عندنا!!

وهذا الكلام لا يكاد يختلف فيه اثنان من السلفية في هذا العصر، فالأمر عندهم مسلَّم به، فبمجرد أن يروا واحداً عند قبر النبي ﷺ رافعاً يديه، فإنهم يحكمون عليه بالشرك والخروج من الملة، والعياذ بالله!

ولأجل ذلك فإني أقدِّم للقارئ العزيز في هذا الكتاب دراسة حول التوسل والاستغاثة، مشتملة على مناقشة بموضوعية، من أجل الوصول إلى القول الفصل فيهما إن شاء الله تعالى.

تعريف التوسّل والوسيلة

قبل الخوض في عباب هذا المبحث لا بد أن نعرِّج على تعريف اللغويين للتوسّل والوسيلة، وذلك لأهمية هذا الأمر؛ لأن ضبط المعنى الذي وُضع له اللفظ هو أهم مدخل لمعرفة حقيقة الشيء؛ لأنه إذا لم يكن هناك وضوح في المعنى فلا فائدة من مواصلة البحث فيه؛ لأننا ذلك لا يزيدنا إلا بُعداً عن الحقيقة.

والوسيلة كما يعرِّفها لنا الجوهري في الصحاح: ما يُتقرَّب به إلى الغير، والجمع: الوسيل، والوسائل. والتوسيل والتوسّل واحد. يقال: وَسَّلَ فلان إلى ربه وسيلة، وتوسَّل إليه بوسيلة، أي تقرَّب إليه بعمل[1].

ويقول صاحب تاج العروس: الوسيلة والواسلة: المنزلة عند الملك، والدرجة والقربة والوصلة، والجمع: الوسائل، وفي حديث الأذان: «اللهم آت محمداً الوسيلة»، قال ابن الأثير: هي في الأصل ما يُتوصَّل به إلى الشيء ويُتقرَّب به، والمراد به في الحديث القُرْب من الله تعالى... ووسل إلى الله تعالى توسيلاً: عمل عملاً تقرَّب به إليه ، كتوسَّل، يقال: وسل وسيلة، وتوسل بوسيلة، وفي الصحاح: التوسيل والتوسل واحد[2].

(١) الصحاح ٥/ ١٨٤١.

(٢) تاج العروس ١٥/ ٧٧٤.

وقال الآلوسي في تفسيره: هي فعيلة بمعنى ما يُتوسَّل به ويُتقرَّب إلى الله عزَّ وجل من فعل الطاعات وترك المعاصي، من وسل إلى كذا أي تقرَّب إليه بشيء[٣].

وعرَّف القرطبي الوسيلة في تفسيره بأنها: هي القربة، عن أبي وائل، والحسن، ومجاهد، وقتادة، وعطاء، والسدي، وابن زيد، وعبد الله بن كثير، وهي فعيلة من توسَّلتُ إليه: أي تقرَّبت[٤].

والنتيجة أن التوسُّل إلى الله تعالى هو التقرّب إليه، فكل ما يُتقرَّب به إلى الله تعالى يصحّ أن يقال عنه إنه وسيلة له سبحانه، سواء أكان عملاً صالحاً، أم كان نبيًّا، أم وليًّا إذا كان مقرِّباً إلى الله تعالى.

---

(٣) روح المعاني ٦/ ١٢٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٦/ ١٥٩.

التوسّل والوسيلة في الإسلام

اتفق المسلمون قاطبة على جواز التوسّل، بل على استحبابه، امتثالاً لأمره سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٣٥]، وقوله عزَّ وجل: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٧].

ولهذا اتفقوا على جواز أنواع من التوسل، واختلفوا في أنواع أخرى، هل هي محرمة أم لا؟

والاختلاف الذي حصل بين المسلمين هو في مصداق التوسّل وكيفية تطبيقه في الواقع، فقد أجمعوا على جواز التوسّل بالأعمال الصالحة، والتوسّل بدعاء الرجل الصالح الحي، وحتى بذاته تعالى وبصفاته، واختلفوا في جواز التوسّل بالموتى، وبجاههم، وبحقّهم، فمنهم من أجازه، ومنهم من ندب إليه، ومنهم من منعه، وجعله بدعة، بل منهم من كفَّر من يقوم به[(٥)].

إذن جواز أصل التوسّل لا خلاف فيه بين المسلمين، ولا ينكره إلا جاهل قد أعمى الله بصيرته!!

---

(٥) سنذكر هذه الأقوال بالتفصيل في باب فتاوى المنكرين للتوسل.

تاريخ الاختلاف

الذي يتتبَّع سيرة المسلمين، وينظر في كتبهم، يجد أن هذه المسألة لم تطرح في العصور المتقدّمة مسألة عقدية، خصوصاً في القرون الثلاثة الأولى الممدوحة كما يعتقد إخواننا أهل السنة وبعدها، بل لم نجد من تعرَّض لها صراحة وناقشها حتى من جوانبها الفقهية، أو قال بحرمتها أو كراهتها، فضلاً عن أن تكون شركاً أو كفراً كما يدَّعي السلفيون، مما يجعلنا نضع نقاط استفهام حول الحاملين لمنهج تكفير وتبديع المتوسِّلين، ونقول لهم: من أين لكم هذا؟!

والثابت عند الباحثين أن أول من نقل مسألة التوسّل من كونها مسألة فقهية إلى المباحث العقدية هو ابن تيمية الحرَّاني المتوفى في القرن الثامن الهجري!!

ولذلك قال القاضي السبكي الشافعي: اعلم أنه يجوز ويحسن التوسُّل والاستغاثة والتشفّع بالنبي صلى الله عليه [وآله] وسلم إلى ربه سبحانه وتعالى، وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين، المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين، وسيرة السلف الصالحين، والعلماء والعوام من المسلمين، ولم ينكر ذلك أحد من أهل الأديان، ولا سُمع به في زمن من الأزمان، حتى جاء

ابن تيمية، فتكلم في ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء الأغمار، وابتدع ما لم يُسبق إليه في سائر الأعصار، ولهذا طعن في الحكاية التي تقدَّم ذكرها عن مالك، فإنّ فيها قول مالك للمنصور: «استشفِعْ به»، ونحن قد بيَّنَّا صحَّتها ، ولذلك أدخلنا الاستغاثة لما يعرض إليها مع الزيارة، وحسبك أنّ إنكار ابن تيمية للاستغاثة والتوسّل قول لم يقله عالم قبله، وصار به بين أهل الإسلام مُثْلة، وقد وقفت له على كلام طويل في ذلك، رأيت من الرأي القويم أميل عنه إلى الصراط المستقيم، ولا أتتبّعه بالنقض والإبطال، فإنّ دأب العلماء القاصدين لإيضاح الدين وإرشاد المسلمين تقريب المعنى إلى أفهامهم، وتحقيق مرادهم، وبيان حكمه، ورأيت كلام هذا الشخص بالضد من ذلك، فالوجه الإضراب عنه[٦].

ويقول ابن حجر المكي الهيتمي: فمما يدل لطلب التوسّل به قبل خلقه وأن ذلك هو سيرة السلف الصالح الأنبياء والأولياء وغيرهم، فقول ابن تيمية ليس له أصل من افترائه..

إلى أن يقول: ولا فرق بين ذكر التوسّل والاستغاثة والتشفّع والتوجُّه به ﷺ أو بغيره من الأنبياء، وكذا الأولياء، وفاقاً للسبكي، فالتوجه والاستغاثة به ﷺ وبغيره ليس لهما معنى في قبول المسلمين غير ذلك، ولا يقصد بهما أحد منهم سواه، فمن لم ينشرح صدره لذلك فليبك على نفسه، نسأل الله العافية[٧].

---

(٦) شفاء السقام: ٢٩٣.

(٧) الجوهر المنظم: ١٥٩.

ولا يخفى على القارئ العزيز أن هذه الشهادات لا يمكن أن تُهمل، خصوصاً أنها صدرت من فقهاء يُعتد بآرائهم، والأهم من هذا أنهم كانوا معاصرين لابن تيمية تقريباً، فهم على دراية بأسلافهم الذين لم يتعرَّضوا لهذا المبحث كما فعل ابن تيمية الذي ثبت أنه أول من ابتدع فيه هذا القول.

ولذلك عندما نرجع إلى ما كتبه ابن تيمية حول التوسل لا نجده استشهد بقول عالم سابق، أو رأي أحد أئمة المذاهب الفقهية المشهورة، وإنما اعتمد على فهمه للآيات القرآنية وبعض الآثار النبوية، ليخرج بهذا القول الغريب، فيكون قد طعن في كل سلفه الصالح الذين طالما نادى بالتمسك بفهمهم للنصوص الشرعية، والرجوع إليهم في معرفة العقائد الحقة!! فإنه إذا كان البحث في الأسماء والصفات فإن أول دليل يطرحه ابن تيمية هو إعراض السلف الصالح عن آيات الصفات، وقبولهم لمعناها الظاهري الحقيقي، دون تأويل أو تشبيه أو تكييف أو تعطيل.

أما إذا كان الكلام حول التوسل والاستغاثة فإنه يضرب بآراء كل السلف عرض الجدار، ويكون فهم ابن تيمية هو الصائب، مع ما يستلزم ذلك من الحكم على كل المسلمين طيلة ثمانية قرون بالخطأ والضلال!!

ولو خاطبنا ذوي الألباب السليمة وأصحاب العقول المستقيمة، وسألناهم: هل جهل المفسِّرون، والمحدِّثون، وشرَّاح الحديث، والفقهاء، والعلماء، والفضلاء، والعوام، ما انفرد ابن

تيمية بمعرفته؟!

والجواب الصحيح هو أن ابن تيمية لما لم يكن أعلم علماء هذه الأمَّة، ولم يكن يتلقى وحي السماء، كما أنه لم يكن معصوماً عن الخطأ والزلل، فإن حاله حال غيره ممن سبقوه، ومن المجازفة القول بأن السلف لم يتنبَّهوا إلى أمور كثيرة ـ من ضمنها التوسّل بالموتى ـ تُخرج المسلم من الملة، مع أن الناس كانوا يمارسونها بكثرة عند قبور الأنبياء والأولياء.

أما إذا كان السؤال موجَّهاً لسلفي أشرب حب ابن تيمية فجوابه: نعم؛ لأن ابن تيمية كما يعتقد السلفيون كان يبصر تنزّل الأمر بين طبقات السماء(٨)، وكان يعلم ما في اللوح(٩)، ويعلم ما

(٨) قال أحمد بن إبراهيم الواسطي في كتاب التذكرة والاعتبار في حق ابن تيمية: ومثل هذا العارف قد يبصر ببصيرته تنزل الأمر بين طبقات السماء والأرض، فالناس يحسّون بما يجري في عالم الشهادة، وهؤلاء بصائرهم شاخصة إلى الغيب، ينظرون ما تجري الأقدار، يشعرون بها أحياناً عند تنزلها!! (ضمن كتاب العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية: ٢٤٩).

(٩) قال ابن القيم في مدارج السالكين ٢/ ٤٨٩: ولقد شاهدت من فراسة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أموراً عجيبة، وما لم أشاهده منها أعظم وأعظم، ووقائع فراسته تستدعي سفراً ضخماً. أخبر أصحابه بدخول التتار الشام سنة تسع وتسعين وستمائة، وأن جيوش المسلمين تكسر، وأن دمشق لا يكون بها قتل عام ولا سبي عام، وأن كلب الجيش وحدته في الأموال، وهذا قبل أن يهم التتار بالحركة، ثم أخبر الناس والأمراء سنة اثنتين وسبعمائة لما تحرك التتار وقصدوا الشام: أن الدائرة والهزيمة عليهم، وأن الظفر والنصر للمسلمين، وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يميناً، فيقال له: قل إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً. وسمعته يقول ذلك، قال: فلما أكثروا عليَّ قلت: لا ←

تخفي الصدور[١٠]، فحري بكل سلفي بعد كل هذا أن يزعم أن ابن تيمية يعلم من تفسير القرآن ومن حديث سيِّد الأنام ما عجز عنه غيره!!

← تكثروا، كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ.

(١٠) قال عمر البزار البغدادي في كتاب الأعلام العلية ١/ ٥٦: جرى بيني وبين بعض الفضلاء منازعة في عدة مسائل، وطال كلامنا فيها، وجعلنا نقطع الكلام في كل مسألة بأن نرجع إلى الشيخ، وما يرجِّحه من القول فيها، ثم إن الشيخ رضي الله عنه حضر، فلما هممنا بسؤاله عن ذلك سبقنا هو، وشرع يذكر لنا مسألة مسألة كما كنا فيه، وجعل يذكر غالب ما أوردناه في كل مسألة.

فتاوى المنكرين للتوسّل

أقام أتباع ابن تيمية الدنيا ولم يقعدوها حول قضية التوسّل، وسوَّدوا صفحات الكتب بفتاوى التكفير والتفسيق والتبديع، بل وإخراج من يقوم بهذا الفعل من الملة.

فقد ورد في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء أن: مَن كان يصلي ويصوم، ويأتي بأركان الإسلام، إلا أنه يستغيث بالأموات والغائبين وبالملائكة ونحو ذلك فهو مشرك، وإذا نُصح ولم يقبل، وأصرَّ على ذلك حتى مات فهو مشرك شركاً أكبر يُخرجه من ملة الإسلام، فلا يُغسَّل، ولا يُصلَّى عليه صلاة الجنازة، ولا يُدفن في مقابر المسلمين، ولا يُدعى له بالمغفرة، ولا يرثه أولاده ولا أبواه، ولا إخوته الموحِّدون ولا نحوهم ممن هو مسلم؛ لاختلافهم في الدين!![(١١)].

وقال أبو بكر الجزائري: إن دعاء الصالحين والاستغاثة بهم والتوسل بجاههم لم يكن فى دين الله تعالى قربة ولا عملاً صالحاً فيتوسَّل به أبداً، وإنما كان شركاً فى عبادة الله محرماً، يُخرج فاعله من الدين، ويوجب له الخلود في جهنم!![(١٢)].

بل اعتبر صاحب كتاب (كيف نفهم التوحيد) أن الذي

---

(١١) فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ١٧٢، فتوى رقم ٦٧٩٢.

(١٢) عقيدة المؤمن: ١٤٤. وأبو بكر الجزائري شيخ الحرم المدني كما يسمّيه أتباعه.

يتوسَّل ويستغيث بالأنبياء والصالحين هو أسوء حالاً من أبي لهب وأبي جهل، وهما أحسن منه إيماناً!![١٣].

ولو أردنا جمع ما قيل في هذا الباب لملأنا عشرات الكتب إن لم يكن مئات بأمثال هذه الفتاوى التكفيرية التي تصدر تباعاً من أناس جعلوا أنفسهم أوصياء على هذا الدين، فأخرجوا منه من شاؤوا، وأدخلوا فيه من أرادوا، وصاروا يوزِّعون صكوك الجنة والنار علناً!!

---

(١٣) قال محمد باشميل في كتاب (كيف نفهم التوحيد)، ص١١: أبو جهل وأبو لهب ومن على دينهم من المشركين، كانوا يؤمنون بالله، ويوحِّدونه في الربوبية خالقًا ورازقًا، محييًا ومميتًا، ضارًّا ونافعاً، لا يشركون به في ذلك شيئًا!. عجيب وغريب أن يكون أبو جهل وأبو لهب أكثر توحيدًا لله وأخلص إيمانا به، من المسلمين الذين يتوسَّلون بالأولياء والصالحين، ويستشفعون بهم إلى الله تعالى!! أبو جهل وأبو لهب أكثر توحيداً وأخلص إيمانًا من هؤلاء المسلمين الذين يقولون: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله!»؟! ما هذا يا رجل؟! كيف تجرؤون على التصريح بمثل هذا الكلام الخطير، الذي هو وأمثاله مما تغالون فيه هو الذي جعلكم أعداء للملايين من المسلمين في العالم؟ فقلت له: ليس هذا عجيبًا ولا غريبًا، بل هذا هو الواقع الذي ستعرفه وستسلم به إن شاء الله عندما تنكشف لك الحقائق جلية، وتنتصب أمامك الأدلة مشرقة واضحة، وعندها سيزول بإذن الله ما علق بذهنك، وستتخلّص مما رسب في عقلك من رواسب المغالطات التي تغالطون بها أنفسكم، وتظنونها حججًا وبراهين..

أدلة المنكرين للتوسّل

حاول أتباع ابن تيمية حشد أدلة من الكتاب والسنة حول منع التوسل؛ وذلك لإقامة بدعتهم، وتقوية رأيهم، واستخدموا فيها مسلك الخوارج، حيث أسقطوا آيات نزلت في الكفار والمشركين على أهل القبلة، وقاسوا الأنبياء وصالحي هذه الأمة على أوثان الأمم السالفة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!!

فقد استدل المنكرون للتوسل بقوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨].

قالوا: هذا حالكم أيها المشركون!!

والجواب: أنَّنا لم نعبد من نتوسل بهم، إنما رجونا بهم التقرّب من رب الأرباب كما قرَّرنا في تعريف التوسل، فالاستدلال بهذه الآية باطل؛ لأننا لا نعبدهم من دون الله، وإنما اتخذناهم وسيلة إلى الله تعالى لقربهم منه، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [الإسراء: ٥٧]، فمثلما اعتبرتم أعمالكم الصالحة إن كانت كذلك تقرِّبكم، فنحن رأينا أن نبيَّنا محمداً ﷺ يقرِّبنا إلى الله عزَّ وجل حيًّا

وميتاً.

واستدل المنكرون أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر: ٣].

قالوا: إن توسّلكم بالأولياء عبادة لهم.

والجواب: أن الآية الكريمة أثبتت أنهم يعبدون أصنامهم، وكذَّبت دعواهم أن الأصنام هي مجرد واسطة بينهم وبين الله تعالى، فذيل الآية ينفي كون أوثانهم وسائط، ويثبت أنها أرباب من دون الله عزَّ وجل. هذا أولاً.

وثانياً: أنه لا يوجد عند السلفيين تعريف مقنع للعبادة، فلو ضبطنا معنى هذا اللفظ لعلمت أنه لا ينطبق على المسلمين القائلين بالتوسّل، فالعبادة عندهم تعني غاية الخضوع والتذلل، ولو طبَّقنا هذا المعنى لوجدنا كل المسلمين كفاراً ومشركين؛ لأن الكل يخضع للملك، والسيِّد، والشرطي، والوالدين، فهل هؤلاء كلهم كفار؟

وليس كل من عبد الله خضع له غاية الخضوع، فهل المسلم الفاسق الذي لا يطيع الله عزَّ وجل، ولم يخضع لأوامره، ولم ينته عن نواهيه يكون كافراً عندكم؟

العبادة هي غاية الخضوع والتذلل المسبوق بالاعتقاد القلبي بأن المتذلَّل له هو إله، فلو سلَّمنا بهذا التعريف زال الإشكال عن ما سبق.

واستدل المنكرون للتوسّل أيضاً بقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف: ٥].

قالوا: أنتم تدعون أمواتاً، وهم غافلون عنكم بما أعدَّ الله لهم من نعيم وجحيم، ولا يقدرون على جوابكم، فأنتم على ضلال.

والجواب: أولاً: أن هذا الاستدلال خاطئ، فقد أثبتنا أننا لا ندعوهم من دون الله، وإنما جعلناهم وسيلتنا إلى الله عزَّ وجل.

وثانياً: أنه قد ثبت عند الكل أن الميت يسمع، فلا يكون بذلك في غفلة، أما قضية الاستجابة فلا علاقة لها بالايمان والكفر والشرك، فربما يستغيث الواحد منا بآخر لكي يساعده على فعل شيء، لكن ذلك الآخر لا يستجيب له، إما لقصوره عن ذلك أو لتقصيره، فهل يكون قد أشرك أو ضلَّ؟ علما أنه لا فرق في هذا المورد بين الحي والميت؛ لأنكم إذا جعلتم المقياس هو القدرة ـ طبعاً لا دليل لهم على هذا سوى عقولهم المريضة ـ فستكونون أول المشركين؛ لأنكم تنفون القدرة على الميت، وتثبتونها للحي، وهذا عين الشرك؛ إلا إذا قلتم: «إنه قادر باذن الله، لا بذاته»، عندها نقول لكم: إن الميت الذي نتوسَّل به أيضاً قادر بإذن الله عزَّ وجل، بل كل شيء في الوجود إذا خرج على هذا الإطار يعتبر شركاً، فأنت إذا اعتقدت أن الشفاء في الدواء لذاته تصبح مشركاً، أما إذا قلت: «إنه فيه الشفاء بإذن الله» فهذا إيمان، وعليه فنحن نقول: إن هذه المقامات المشرَّفة والمشاهد المعظمة إنما نتوسل

ونتبرك ونستشفي بها وبساكنيها لأننا نعتقد أن الله أودع فيها هذه الخاصية، فلو افترضنا جدلاً أن اعقادنا كان خاطئاً فلا يكون فعلنا محرَّماً، فضلاً على أن يكون شركاً أو كفراً، غاية ما يقال: إنه فعل عبثي لا طائل منه، وحاله حال رجل اشترى من الصيدلية دواءً ظن أن فيه الشفاء، لكن لم يتحقق مبتغاه، فهل يكون آثماً لأجل ذلك؟

ولا يخفى أن مدار الايمان والشرك والكفر على الاعتقاد، ومدار الحرمة والحلية على النص، فإذا لم يوجد نص يمنع من التوسّل فهو جائز؛ لأصالة البراءة في الشبهات التحريمية الإلزامية.

ومن الأدلة التي استدل بها المنكرون للتوسل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].

قالوا: إن هناك فرقاً واضحاً بين الحي والميت، فإن الحي يسمع، والميت لا يسمع، فكيف يصح التوسل بمن لا يسمع؟!

والجواب: أن ما قاله المفسِّرون لهذه الآية خلاف ما قاله هذا المستدل.

قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ﴾ أي يهديهم إلى سماع الحجة وقبولها والانقياد لها، ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾، أي كما لا ينتفع الأموات بعد موتهم وصيرورتهم إلى

قبورهم وهم كفار بالهداية والدعوة إليها، كذلك هؤلاء المشركون الذين كتب عليهم الشقاوة، لا حيلة لك فيهم، ولا تستطيع هدايتهم(١٤).

فالمقصود بهذه الآيات هو سماع الانتفاع بعد الموت للكفار، أي أن الذي مات كافراً لا يستفيد من تلقينه شيئاً، وإلا فقد ثبت في صحيح البخاري أن النبي ﷺ كلَّم قتلى المشركين في بدر.

فقد روى البخاري بسنده عن ابن عمر قال: وقف النبي ﷺ على قليب بدر، فقال: هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟ ثم قال: إنهم الآن يسمعون ما أقول. فذكر لعائشة، فقالت: إنما قال النبي ﷺ: إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق. ثم قرأت: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ حتى قرأت الآية(١٥).

وهناك أحاديث أخر(١٦) كلها تؤكد أن الموتى يسمعون كلام

---

(١٤) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٥٦٠.

(١٥) صحيح البخاري ٥/ ٩.

(١٦) الأحاديث في هذا المجال كثيرة، وكلها تثبت أن الموتى يسمعون. منها: ما أورده ابن كثير في تفسيره ٣/ ٤٤٧، قال: من أشهر ذلك ما رواه ابن عبد البر مصحِّحاً له عن ابن عباس مرفوعا: «ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم كان يعرفه في الدنيا، فيسلِّم عليه، إلا ردَّ الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام»، ومنها: ما رواه مسلم في صحيحه ٨/ ١٦٨: «وحدثنا محمد بن منهال الضرير، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: إن الميت إذا وضع في قبره إنه ليسمع خفق نعالهم إذا انصرفوا. حدثني عمرو بن زرارة، أخبرنا عبد الوهاب يعني ابن عطاء، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك، أن نبي الله ﷺ قال: ←

الأحياء، حتى إن ابن تيمية وابن القيم اعترفا بذلك، ولم ينكراه(١٧).

وزعم بعض المنكرين للتوسّل أنه لم يجد دليلاً واحداً تقوم به الحجة من كتاب الله أو من سنة رسوله ﷺ، أو من سيرة السلف

← إن العبد إذا وُضع في قبره، وتولى عنه أصحابه... فذكر بمثل حديث شيبان عن قتادة.

إضافة إلى أنه قد ثبت أن أعمال الناس تُعرض على الأموات، وبالتالي فهم يعرفون كل ما يفعله غيرهم من أقربائهم، فمن باب أولى أن يسمعوا نداءهم، كلامهم لهم، وقد أورد الحاكم النيسابوري حديثاً يثبت هذ المعنى في مستدركه ٤/ ٣٠٧، قال: أخبرنا أبو النضر الفقيه، وإبراهيم بن إسماعيل القارئ، قالا: ثنا عثمان بن سعيد الدارمي، ثنا يحيى بن صالح الوحاظي، ثنا أبو إسماعيل السكوني، قال: سمعت مالك بن أدى يقول: سمعت النعمان بن بشير رضي الله عنه يقول وهو على المنبر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألا إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الذباب تمور في جوها، فالله الله في إخوانكم من أهل القبور، فإن أعمالكم تُعرض عليهم. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وغيرها كثير.

(١٧) اعترف ابن تيمية بأن الميت يسمع، ولم ينكره، رغم أنه أول من حمل راية محاربة التوسل والاستغاثة! فقد قال في الفتاوى الكبرى ١/ ٢٨٩: وقد ثبت في الصحيحين أن النبي قال: «لقنوا أمواتكم لا إله إلا الله»، فتلقين المحتضر سنة مأمور بها، وقد ثبت أن المقبور يُسأل ويُمتحن، وأنه يؤمر بالدعاء له، فلهذا قيل: إن التلقين ينفعه، فإن الميت يسمع النداء كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: إنه ليسمع قرع نعالهم، وأنه قال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»، وأنه أمرنا بالسلام على الموتى، فقال: ما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا، فيسلم عليه، إلا ردَّ الله روحه حتى يرد عليه.

أما ابن القيم فقد عقد في كتابه (الروح) باباً كاملاً، جمع فيه الأدلة والنصوص التي يستفاد منها سماع الموتى، وأورد فيه عدة أحاديث وروايات تدل على ذلك، وهذا يؤكد أنه يذهب إلى القول بسماع الموتى..

الصالح يدل على مشروعية التوسل.

والجواب: أن المانعين للتوسّل والمجوِّزين له قد اشتركوا في إثبات التوسّل عامة من كتاب الله، أما تفاصيله فهو ثابت من سنة النبي المصطفى ﷺ وسيرة المسلمين كافة، وهو ما سنثبته لاحقاً إن شاء الله تعالى.

أدلة المجوِّزين للتوسّل

ذكرنا فيما سبق الآيات الدالة على التوسّل من كتاب الله، وأثبتنا أنه مبدأ قرآني أجمع عليه المسلمون، وإن كانوا قد اختلفوا في تفصيلاته، ولا سيما التوسل والاستشفاع والاستغاثة بالأموات، وبيَّنَّا أنه لا يوجد دليل شرعي ولا مانع عقلي يمنع من التوسل بالأموات، وسنشرع الآن في ذكر النصوص المثبتة لمشروعية التوسل بالأموات، خصوصاً بالنبي محمد صلى الله عليه وآله.

منها: توسل عمر بن الخطاب بالعباس بن عبد المطلب:
المروي في صحيح البخاري عن أنس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسَّل إليك بنبيِّنا صلى الله عليه وسلم فتسقينا، وإنا نتوسَّل إليك بعم نبيِّنا، فاسقنا[18].

وهذا الحديث يدل صراحة على جواز التوسّل بالذوات، بل يدل على أن الأمر كان معروفاً ومشهوراً بين الصحابة، والحجة فيه أن هذا الفعل صدر من عمر أمام جمع كبير من الصحابة، وهو ما يسمّى إجماعاً سكوتيًّا، خصوصاً أن ما حصل لم يكن مرة واحدة، فإن الظاهر من السياق أن الحادثة تكرَّرت كثيراً، حيث قال: «كان إذا قحطوا استسقى بالعباس».

---

(١٨) صحيح البخاري ٢/ ١٦.

وقد حاول ابن تيمية ومن انتهج نهجه تحريف هذا الحديث، وصرفه عن ظاهره من التوسّل بذات العباس رضي الله عنه كما هو واضح من ظاهر الحديث إلى التوسّل بدعائه.

قال ابن تيمية: وقول عمر رضي الله عنه: «إنا كنا إذا أجدبنا توسَّلنا إليك بنبيِّنا فتسقينا، وإنا نتوسَّل إليك بعمّ نبيّنا» معناه نتوسل إليك بدعائه وشفاعته وسؤاله، ونحن نتوسّل إليك بدعاء عمِّه وسؤاله وشفاعته. ليس المراد به أنا نُقْسِم عليك به، أو ما يجري هذا المجرى مما يفعله المبتدعون بعد موته وفي مغيبه، كما يقول بعض الناس: «أسألك بجاه فلان عندك»، ويقولون: «إنا نتوسَّل إلى الله بأنبيائه وأوليائه»... فإنه لو كان هذا هو التوسّل الذي كان الصحابة يفعلونه كما ذكر عمر رضي الله عنه لفعلوا ذلك به بعد موته، ولم يعدلوا عنه إلى العباس، مع علمهم أن السؤال به والإقسام به أعظم من العباس، فعُلم أن ذلك التوسّل الذي ذكروه هو مما يفعله الأحياء دون الأموات، وهو التوسّل بدعائهم وشفاعتهم، فإن الحي يُطلب منه ذلك، والميت لا يُطلب منه شيء، لا دعاء ولا غيره[١٩].

ويمكن الرد على ذلك بعدة أمور:

١- أن كلام ابن تيمية عدول عن النص الصحيح الواضح بدون أي قرينة تدل على أن توسّل عمر بالعباس كان بدعائه لا بذاته، ولا يجوز العدول عن ظاهر النص إلا بقرينة صحيحة.

وما زعمه ابن تيمية من أن التوسّل لو كان بالذوات لما عدل

---

(١٩) اقتضاء الصراط المستقيم: ٤١٥.

عمر عن التوسل بالنبي ﷺ الذي هو أقرب إلى الله تعالى زلفى إلى التوسّل بالعباس غير صحيح؛ لأن الأفعال مجملة لا لسان لها، ونحن لا نعلم بما قصده عمر من اختيار التوسّل بالعباس بخصوصه، ولا سيما أن في أهل البيت من هم أفضل من العباس بالاتفاق، كأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام، فلعل عمر كان يريد الإشادة بالعباس لما رأى انصراف الناس عن تبجيله وتعظيمه؛ لأنه كان من مسلمة الفتح، وكان من أسرى بدر .

ثم إن العقل يحكم بأن إثبات شيء لشيء لا ينفيه عما سواه، فتوسّل عمر يثبت جواز التوسل بالعباس، لكنه لا ينفي جواز التوسل بغيره من الناس أحياء أو أمواتاً، فتنبَّه.

٢- أني بعد التتبع والبحث لم أجد رواية صحيحة ورد فيها أن عمر توسَّل بدعاء العباس عم النبي ﷺ، وهم اعتمدوا في كلامهم هذا على رواية أوردها ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، حيث قال: قد بيَّن الزبير بن بكار في الأنساب صفة ما دعا به العباس في هذا الواقعة، والوقت الذي وقع فيه ذلك، فأخرج بإسناد له أن العباس لما استسقى به عمر قال: اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يُكشف إلا بتوبة، وقد توجَّه القوم بي إليك؛ لمكاني من نبيِّك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث. فأرخت السماء مثل الجبال، حتى أخصبت الأرض، وعاش الناس[٢٠].

---

(٢٠) فتح الباري ٢/ ٤١٣.

ويرد على هذا الاستدلال:

أولاً: أن الظاهر من كلام عمر أنه توسّل بذات العباس حين قال: «وإنا نتوسَّل إليك بعم نبيِّنا فاسقنا..»، فما جاء بعد هذا فهو منفصل عما سبق، كأن يقول القائل: «اللهم إني أسألك بنبيِّك وبأسمائك الحسنى»، فإن هذا القول يحمل في طياته توسُّلاً بذات النبي، وتوسُّلاً بأسماء الله الحسنى، فيكون على رأي السلفية قد جمع في نفس الوقت بين توسّل مشروع، وتوسّل آخر غير مشروع، علماً أن الصحابة فهموا من كلام عمر أنه توسّل بذات العباس، لا بدعائه كما زعمه ابن تيمية والألباني، فقد نقل ابن الأثير في أسد الغابة أبياتاً لحسان بن ثابت، قالها بهذه المناسبة، وهي قوله:

سَألَ الإمامُ وقد تَتابَعَ جدبُنا ... فسقَى الغمامُ بغُرّةِ العبَّاسِ
عمِّ النبيِّ وصنوِ والدِه الذي ... وَرِثَ النبيَّ بذاك دونَ الناسِ
أحيا الإلهُ به البلادَ فأصبحتْ ... مُخْضرةَ الأجنابِ بَعدَ الياسِ[٢١]

كما نقل الذهبي في سير أعلام النبلاء أبياتاً للصحابي العباس بن عتبة، قال فيها:

بِعَمِّي سَقَى اللهُ الحجازَ وأهلَه ... عشيةَ يَستسقي بشيبتِه عُمَرْ
توجَّه بالعبَّاسِ في الجدْبِ راغباً ... إليه فما إِنْ رامَ حتى أتى المطرْ
ومنا رسولُ اللهِ فينا تراثُه ... فهل فوقَ هذا للمفاخرِ مفتخرْ[٢٢]

فنحن نلزم ابن تيمية وأتباعه بفعل الصحابة، وبفهمهم

(٢١) أسد الغابة ٣/ ١١١.

(٢٢) سير أعلام النبلاء ٢/ ٩٤.

للحادثة، ونترك التأويلات الباردة، ومحاولة الهروب من ظاهر الحديث الذي عمد إليه ابن تيمية ومن قلده في هذه المسألة.

وثانياً: أن كلام العباس الذي استشهدوا به يؤكِّد أن عمر قد توسَّل بذاته، فقد قال العباس: «وقد توجَّه القوم بي إليك لمكاني من نبيِّك..»، وهو كلام واضح في أن القوم توجَّهوا بذات العباس كما قال هو بنفسه، مع أنه لم ينكر عليه أحد هذا الفهم، حتى عمر نفسه، الذي سمع منه هذا الكلام وقت الاستسقاء.

ثالثاً: العجيب أن القوم تمسَّكوا بهذا الخبر المرسل الذي تجنّبوا التعليق على سنده، وتركوا الخبر المسند الذي يليه في نفس الصفحة، وهو ما رواه ابن حجر بسنده عن زيد بن أسلم عن ابن عمر، قال: استسقى عمر بن الخطاب عام الرمادة بالعباس بن عبد المطلب... فذكر الحديث، وفيه: فخطب الناسَ عمر، فقال: إن رسول الله ﷺ كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد، فاقتدوا أيها الناس برسول الله ﷺ في عمِّه العباس، واتخذوه وسيلة إلى الله.

وفيه: فما برحوا حتى سقاهم الله..

وهذا إن دلَّ على شيء فإنه يدل على أن القوم عندهم إصرار مسبق على تحريم التوسل، فحاولوا حشد ما يستطيعون من كلمات ادّعوا أنها تدل على رأيهم في التوسل، حتى لو لم تكن أدلة صحيحة بنظرهم، فاستدلالهم تبريري بحت.

وأخيراً نشير إلى ما ذكره الشيخ محمد صالح العثيمين في مجموع فتاواه حيث قال: كما أنني أيضاً أقول: إن هذا جائز،

ولكنني لا أحبِّذه، وأرى أن الإنسان يسأل الله تعالى بنفسه دون أن يجعل له واسطة بينه وبين الله، وأن ذلك أقوى في الرجاء، وأقرب إلى الخشية!! [(٢٣)].

وبعبارة أخرى فإن ابن عثيمين يرى أنه أعلم بالتوحيد من عمر بن الخطاب، وأن ما فعله عمر بنظر ابن عثيمين يتنافى مع قوة الرجاء، والخشية من الله تعالى رغم أنه يعترف أن فعل جائز!!

ومنها: حديث الأعمى: المروي عن عثمان بن حنيف ﵁: أن رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ، فقال: ادع الله تعالى أن يعافيني. قال: إن شئت أخَّرتُ ذلك، وإن شئت دعوت. قال: فادعه! قال: فأمره أن يتوضأ، فيحسن الوضوء، ويصلي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء: اللهم أسألك وأتوجَّه إليك بنبيِّك محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجَّه بك إلى ربك في حاجتي هذه فتقضيها لي، اللهم شفِّعه فيَّ، وشفِّعني فيه.

وهذا الحديث ورد في جملة من الكتب المعتمدة عند إخواننا أهل السنة، وقد صحَّحه جمع من حفَّاظهم، فقد أورده الطبراني في معجمه الصغير، وقال: والحديث صحيح[(٢٤)].

وقال الحاكم في مستدركه: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه[(٢٥)]. ووافقه الذهبي على تصحيحه، وقال: على شرط

---

(٢٣) مجموع فتاوى الشيخ محمد صالح العثيمين ٢/ ٢٧٧.

(٢٤) المعجم الصغير للطبراني ١/ ٣٠٦.

(٢٥) المستدرك ١/ ٧٠٠.

البخاري[٢٦].

كما أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، وقال عقبه: ورويناه في كتاب الدعوات بإسناد صحيح[٢٧].

وصحَّحه شعيب الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد، قال: هذا حديث صحيح، ورجاله ثقات[٢٨]، وغيرهم.

وهذا الحديث دال على مشروعية الأنواع الثلاثة من التوسّل، وهي: التوسّل بدعاء الرجل الصالح، والتوسّل بالعمل الصالح، والتوسّل بالغائب، كما أنه دال على مشروعية نداء النبي ﷺ، والتوجّه إلى الله تعالى بالنبي محمد ﷺ.

والرواية أوضحت أن الرجل الكفيف دعا بهذا الدعاء في غياب النبي ﷺ، بقرينة رواية المستدرك التي جاء فيها: قال عثمان: فو الله ما تفرَّقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضر قط..

وهذا ما يجعل توسل هذا الكفيف من نمط توسّلنا في هذه الأزمان، وهو التوسّل الذي ينكره السلفية، فالأعمى عندما قال: «اللهم إني أسألك وأتوجَّه إليك بنبيِّك محمد نبي الرحمة» يظهر أنه كان في مكان آخر، وقوله: «يا محمد إني أتوجَّه بك إلى ربي» نداء لغائب، وهو ما يعتبر شركاً عند القوم!!

---

(٢٦) تلخيص المستدرك ١/ ٧٠٠.

(٢٧) دلائل النبوة للبيهقي ٦/ ٣٥٢.

(٢٨) مسند أحمد بن حنبل ٤/ ١٣٨.

وقد حاول ابن تيمية التلاعب بدلالة هذا الحديث الشريف، فقال: السؤال به، فهذا يجوِّزه طائفة من الناس، لكن ما روي عن النبي ﷺ في ذلك كله ضعيف بل موضوع، وليس عنه حديث ثابت قد يظن أن لهم فيه حجة، إلا حديث الأعمى لا حجة لهم، فإنه صريح في أنه إنما توسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته، وهو طلب من النبي ﷺ الدعاء، وقد أمره النبي أن يقول: «اللهم شفِّعه فيَّ»، ولهذا ردَّ الله عليه بصره لما دعا له النبي ﷺ، وكان ذلك مما يعد من آيات النبي ﷺ، ولو توسَّل غيره من العميان الذين لم يدع لهم النبي ﷺ بالسؤال به لم تكن حالهم كحاله.

وهذا الذي قاله ابن تيمية من التلبيس الفاضح، فالنبي إنما علَّم الاعمى دعاءً، ولم يدع له، ونص الحديث واضح، وكما ذكرنا سابقاً، فإن الأعمى ذهب، ثم رجع وقد أبصر بعد أن أدى ما كلفه به النبي ﷺ من الغسل والدعاء، ولا يوجد في متن الرواية ما يدل على أن النبي ﷺ دعا له.

ولو افترضنا أن شفاء الأعمى كان بسبب دعاء النبي ﷺ، فهذا لا يمتنع بعد وفاته صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله؛ لأنه ﷺ يرد سلام المسلِّم عليه[٢٩]، وأعمالنا تُعرض عليه، فيدعو لنا كما

---

(٢٩) قد ثبت عند المسلمين أن الرسول ﷺ يرد السلام، ويكفينا في إثبات ذلك صيغة التسليم في صلاتنا، التي تشمل السلام على الحبيب المصطفى صلوات ربي عليه وآله، فإن كان لا يسمع ولا يرد فإن تسليمنا عليه في الصلاة لغو، وهو قبيح، ثم إنه وردت أحاديث وروايات تؤيد هذا المعنى، منها ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده ٢/ ٥٢٧ بسنده عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «ما ←

صحَّ ذلك عنه ﷺ[٣٠]، ولولا ذلك لكان تسليمنا عليه في الصلاة وغيرها لغواً وعبثاً، مع أن المسلمين كافة أجمعوا على أن يقولوا في تشهدهم: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته!!

وأخيراً أورد حفَّاظ أهل السنة والجماعة هذا الحديث في كتب الأدعية والأذكار، فقد أخرجه الطبراني في كتاب الدعاء، وابن السني في عمل اليوم والليلة، والنسائي في كتابه (عمل اليوم والليلة)، وهو ما يدل على أنهم فهموا منه نفس هذا المعنى الذي فهمناه من أن الدعاء بهذا اللفظ جائز مطلقاً، في حياته ﷺ وبعد مماته، وهو مما يُتعبَّد به في كل زمان ومكان، حاله كحال غيره من الأدعية.

ومنها: قصة دفن فاطمة بنت أسد رضي الله عنها: المروية عن أنس بن مالك، قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي ، دخل عليها رسول الله ﷺ، فجلس عند رأسها، فقال: رحمك الله يا أمي، كنتِ أمي بعد أمي، تجوعين وتشبعيني، وتعرين وتكسونني،

← من أحد يسلم عليَّ إلا ردَّ الله عزَّ وجل عليَّ روحي حتى أردَّ عليه». صحَّحه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٦/ ٣٥٣، فقال:رواته ثقات. كما صحَّحه النووي في رياض الصالحين، ص ٥٥٦، قال: رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(٣٠) حديث عرض الأعمال رواه البزار في مسنده، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٢٤، قال: رجاله رجال الصحيح. وقال عنه الحافظ العراقي في طرح التثريب ٣/ ٢٩٧: إسناده جيد. وصحَّحه السيوطي أيضاً في كتاب الخصائص ٢/ ٢٨١، وفي تخريج أحاديث الشفا، ص ٣١، وقد ألف الحافظ عبد الله بن الصديق الغماري الحسني كتاباً جديراً بالمطالعة أسماه (نهاية الآمال في شرح وتصحيح حديث عرض الأعمال)، أثبت فيه صحة هذا الحديث، وردَّ فيه على الذين طعنوا في هذا الحديث لكونه مخالفاً لأهوائهم.

وتمنعين نفسك طيب الطعام وتطعميني، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة. ثم أمر أن تغسل ثلاثاً وثلاثاً، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور، سكبه عليها رسول الله ﷺ بيده ، ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه، وكفنت فوقه، ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد، وأبا أيوب الأنصاري، وعمر بن الخطاب، وغلاماً أسود يحفروا، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده، وأخرج ترابه بيده. فلما فرغ، دخل رسول الله ﷺ، فاضطجع فيه، وقال: الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ولقِّنها حجَّتها، ووسِّع عليها مدخلها، **بحق نبيِّك والأنبياء الذين من قبلي**، فإنك أرحم الراحمين. ثم كبَّر عليها أربعاً، ثم أدخلوها القبر، هو والعباس، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه. لم يرو هذا الحديث عن عاصم الأحول إلا سفيان الثوري، تفرَّد به روح بن صلاح.

وهذا الحديث أخرجه الطبراني في معجميه الكبير[٣١]، والأوسط[٣٢].

قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه روح بن صلاح، وثَّقه ابن حبان، والحاكم، وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح[٣٣].

أقول: روح بن صلاح كما ذكر الهيثمي وثَّقه الحاكم

(٣١) المعجم الكبير ٢٤/ ٣٥١.

(٣٢) المعجم الأوسط ١/ ٦١.

(٣٣) مجمع الزوائد ٩/ ٢٥٦.

النيسابوري، وذكره ابن حبان في الثقات[٣٤]، إضافة إلى أن يعقوب بن سفيان الفسوي قد روى عنه، وهو من مشائخه[٣٥]، ومن المعلوم أن الفسوي قد وثق جميع مشايخه، فإنه قال كما في تهذيب التهذيب: كتبتُ عن ألف شيخ وكسر، كلهم ثقات[٣٦].

أما ما قاله الهيثمي بأن الرجل فيه ضعف فقد بحثنا عن جرح مفسَّر لروح بن صلاح لكن لم نجده إلا مبهماً، فقد قال عنه الدارقطني: «ضعيف»، ووافقه ابن ماكولا، وابن عدي[٣٧]، ولم يذكروا سبب جرحه، فلا يعتد بقولهم؛ لأن علماء الحديث قد قرَّروا أن الجرح لا يُقبل إلا مفسَّراً[٣٨]، وبالتالي فروح بن صلاح ثقة،

---

(٣٤) كتاب الثقات لابن حبان ٨/ ٢٤٤.

(٣٥) روى عنه في كتابه المعرفة والتاريخ ٣/ ٤٠٦.

(٣٦) تهذيب التهذيب ١١/ ٣٧٨.

(٣٧) ضعف الدارقطني روح بن صلاح، ووافقه ابن عدي في الكامل ٣/ ١٤٦، قال: وأظن أنه مصري ضعيف.

قلت: نترك الظن لابن عدي، ومثله ابن ماكولا، أما الذهبي فذكره في تاريخ الإسلام ١٧/ ١٦١، ولم يذكر إلا أقوال موثقيه، مما يوحي أنه يرجِّح كفة توثيقه، وكذلك صنع في ميزان الاعتدال ٢/ ٥٨، إلا أنه ذكر أيضاً تضعيف ابن عدي، وقد أثبتنا أنه مجرد ظن مشتمل على جرح مبهم لا يضر بالرجل.

(٣٨) اشترط العلماء أن يذكر الجارح سبب جرحه للشخص، أما التعديل فلا يشترط ذكر السبب، أما الأول فلبيان حقيقة الأمر؛ لأن كثيراً من الطعونات بدافع تحاسد الأقران، أو لخلاف شخصي بينهما؛ لسبب من الأسباب الدنيوية، أو لحقد طائفي أو ما شابه ذلك، ويؤيد ما قلناه كلام الخطيب البغدادي في الكفاية، ص ١٠٨، حيث قال: إن البخاري قد احتج بجماعة سبق من غيره الطعن فيهم والجرح، لهم كعكرمة مولى ابن عباس، وإسماعيل بن أبي أويس، ←

والحديث حسن على أقل التقادير، فلا عبرة بمن ضعَّفه خصوصاً حافظ عصرهم الألباني[٣٩] المتناقض المتَّبع لهواه.

← وعاصم بن علي، وعمرو بن مرزوق، وهكذا فعل مسلم بن الحجاج، فإنه احتج بسويد بن سعيد وجماعة غيره اشتهر عمن ينظر في حال الرواة الطعن عليهم، وسلك أبو داود السجستاني هذه الطريق وغير واحد ممن بعده، فدل ذلك على أنهم ذهبوا إلى أن الجرح لا يثبت إلا إذا فُسِّر سببه، وذُكر موجبه. وقال أحمد بن حنبل كما في التهذيب ٧/ ٢٩٦: كل رجل ثبتت عدالته لم يقبل فيه تجريح أحد حتى يبين ذلك عليه بأمر لا يحتمل غير جرحه. وقال ابن دقيق العيد في الاقتراح، ص ٢٩٦: فإن كان المجروح موثَّقاً من جهة أخرى فلا تحفلن بالجرح المبهم ممن خالفه، وإن كان غير موثق فلا تحكمن بجرحه ولا تعديه. وهذا ينطبق كله على حال روح بن صلاح، فهو من الذين وثَّقهم الأعلام كابن حبان والحاكم، ولم نجد في مقابل هذا التعديل جرحاً مفسَّراً، وعليه فلا بد من الحكم بوثاقته، وصحة حديثه.

(٣٩) ضعَّف الألباني هذا الحديث في السلسلة الضعيفة ١/ ٣٢، وادَّعى وجود جرح مفسَّر في روح بن صلاح!! بناءً على قول ابن عدي في الكامل: في بعض حديثه نكرة، وقول ابن يونس: رويت عنه مناكير.

قلت: كلام الألباني غير صحيح؛ لأن ابن عدي عندما وصف روح بن صلاح بهذا الوصف لم يسق له أي حديث منكر، بل بالعكس، فإنه برَّأه مما نُسب إليه، فقد ذكر حديثين منكرين، ثم قال ٣/ ١٤٦: وهذان الحديثان بإسناديهما ليسا بمحفوظين، ولعل البلاء فيه من عيسى هذا، فإنه ليس بمعروف!

ومن عادة ابن عدي كما قال الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح، ص ٤٢٩: وقال ابن عدي في الكامل، ومن عادته فيه أن يخرج الأحاديث التي أنكرت على الثقة، أو على غير الثقة.

مضافاً إلى أن قولهم: «يروي مناكير» لا يعتبر جرحاً في الراوي كما قال ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان ٢/ ٣٠٨: فلو كان كل من روى شيئاً منكراً استحق أن يُذكر في الضعفاء لما سلم من المحدثين أحد لا سيما المكثر منهم.

والعجيب أنهم يقبلون تضعيفاته عندما توافق أهواءهم، ولكن لما تصل النوبة إلى تضعيفه لأحاديث في الصحيحين فإنهم لا يقبلون ذلك منه!

إذن هذا الحديث حسن، وهو مما يستدل به المسلمون على جواز التوسّل بالنبي ﷺ وبالأنبياء السابقين عليهم السلام، كما أنه يقطع دابر كل من يقول: إن الجائز من التوسل ما كان بالحي فقط، وأما التوسل بالميت فلا، وهذا الحديث حجة عليهم، لأن النبي ﷺ توسل بمن سبقه من الأنبياء عليهم السلام.

ومنها: حديث دعاء الذهاب للصلاة: عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: إذا خرج الرجل من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي، فإني لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا رياءً، ولا سمعةً، خرجت اتقاء سخطك، وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تنقذني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وكَّلَ الله عزَّ وجل به سبعين ألف ملك يستغفرون له، وأقبل الله تعالى عليه بوجهه حتى يقضي صلاته.

هذا الحديث أخرجه ابن ماجة في سننه[٤٠]، وأحمد في مسنده[٤١]، والطبراني في كتاب الدعاء[٤٢]، وابن أبي شيبة في

---

(٤٠) سنن ابن ماجه ١/ ١٥٦.

(٤١) مسند أحمد بن حنبل ٣/ ٢١.

(٤٢) كتاب الدعاء: ١٤٩.

مصنفه[٤٣]، وغيرهم كثير.

وقد حسَّنه جمع من الحفاظ، نذكر منهم: الحافظ ابن حجر العسقلاني في أمالي الأذكار[٤٤]، والمنذري في الترغيب والترهيب[٤٥]، والحافظ العراقي كما في تخريج أحاديث الإحياء[٤٦]، والحافظ البوصيري في مصباح الزجاجة[٤٧]، وغيرهم.

أما الشيخ الألباني فقد حاول بشتى الطرق تضعيف هذا الحديث وتوهينه، والتمس له العلل، إلا أن كلامه لا يعتد به في مقابل تحسين الحفاظ الفطاحل جهابذة هذا الفن.

ودلالة هذا الحديث واضحة وضوح الشمس، فإن رسول الله ﷺ حث الناس على التوسل بحق السائلين، وهذا اللفظ شامل للأحياء والأموات، كما أنه يشمل الحاضرين والغائبين، وبالتالي يسقط التفريق الذي ابتدعه اتباع ابن تيمية للتوسّل، بين التوسّل بالحي الحاضر، والتوسل بالغائب أو بالميت.

ومنها: استغاثة نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام: عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: والذي نفس أبي القاسم بيده لينزلن عيسى بن مريم إماماً مقسطاً، وحكماً عدلاً، فليكسرنَّ الصليب، وليقتلنَّ الخنزير، وليصلحنَّ ذات البين، وليذهبنَّ

---

(٤٣) المصنف لابن ابي شيبة ٧/ ٢٩.

(٤٤) أمالي الأذكار ١/ ٢٧٢.

(٤٥) الترغيب والترهيب ٣/ ٢٧٣.

(٤٦) تخريج إحياء علوم الدين ١/ ٢٩١.

(٤٧) مصباح الزجاجة ١/ ٩٩.

الشحناء، وليعرضنَّ عليه المال فلا يقبله، ثم لئن قام على قبري فقال: «يا محمد» لأجبته.

وهذا الحديث أخرجه أبو يعلى في مسنده[٤٨]، وصحَّحه جملة من الحفاظ، منهم: الهيثمي، قال: قلت: هو في الصحيح بإختصار، رواه أبو يعلي ورجاله رجال الصحيح[٤٩]، ووافقه الألباني في تصحيحه كما في السلسلة الصحيحة، فإنه قال: قلت: وهذا إسناد جيِّد، رجاله كلهم ثقات، رجال الشيخين، غير أبي صخر، وهو حميد بن زياد الخراط، فهو من رجال مسلم وحده، وقد تكلَّم فيه بعضهم، وصحَّح له ابن حبان، والحاكم، والبوصيري، ومشاه المنذري[٥٠].

كما أخرج الحاكم النيسابوري حديثاً مشابهاً له في مستدركه، يمكن أن يعتبر شاهداً قويًّا على صحة هذا الخبر، بسنده عن عطاء مولى أم حبيبة، قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: ليهبطنَّ عيسى بن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً، وليسلكنَّ فجًّا حاجا أو معتمرا أو بنيتهما، وليأتين قبري حتى يسلِّم عليَّ، ولأردَّنَّ عليه.

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه السياقة. وافقه الذهبي[٥١].

أما دلالة الحديث فواضحة على جواز نداء النبي ﷺ

(٤٨) مسند أبي يعلى ١١/ ٤٦٢.

(٤٩) مجمع الزوائد ٨/ ٢١١.

(٥٠) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦/ ٥٢٤.

(٥١) المستدرك ٢/ ٥٩٥.

والاستغاثة به، وهو ما يمنعه أتباع ابن تيمية في هذا العصر، ويعتبرونه شركاً عندهم، فهنيئا لهم تكفير نبي الله عيسى سلام الله عليه، ثم أن الحديث يدل على أن الحبيب المصطفى ﷺ يسمع الأصوات بعد موته، خصوصاً من يتوجَّه إليه، بل ويرد على من يناديه.

أما من قال: «إن هذا من مختصات نبي الله عيسى صلوات الله عليه» فقوله محترق؛ لأنه قد تقرَّر في الأصول أن العبرة بعموم المعنى، وليس بخصوص اللفظ، فلذلك نقول: إن رسول الله ﷺ علَّم أمَّته التوسل والاستغاثة به.

ومنها: رواية مالك الدار: وكان خازن عمر بن الخطاب على الطعام، قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله استسق لأمتك، فإنهم قد هلكوا، فأتى الرجل في المنام، فقيل له: ائت عمر، فأقرئه السلام، وأخبره أنكم مسقيّون، وقل له: عليك الكيَس، عليك الكيَس، فأتى عمر فأخبره، فبكى عمر، ثم قال: يا رب لا ألو إلا ما عجزت عنه.

وهذه الرواية من أشهر الروايات الواردة في التوسل، فقد أخرجها ابن أبي شيبة في مصنفه[٥٢]، وابن حجر العسقلاني في الإصابة[٥٣]، وابن عبد البر في الاستيعاب[٥٤]، والبيهقي في دلائل النبوة[٥٥]، وغيرهم.

---

(٥٢) المصنف لابن ابي شيبة ١٢/ ٣١.

(٥٣) الإصابة في معرفة الصحابة ٣/ ٤٨٣.

(٥٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢/ ٤٦٣.

(٥٥) دلائل النبوة ٧/ ٤٧.

وصحَّحها جمع من كبار علماء المسلمين، منهم: الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، حيث قال: وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الدار، وكان خازن عمر، قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله استسق لأمتك، فإنهم قد هلكوا، فأتى الرجل في المنام، فقيل له: ائت عمر، فأقرئه السلام، وأخبره أنكم مسقيّون، وقل له: عليك الكيس، عليك الكيس، فأتى عمر فأخبره، فبكى عمر، ثم قال: يا رب لا ألو إلا ما عجزت عنه[٥٦].

وألفت النظر إلى أن ابن كثير - تلميذ ابن تيمية الحرَّاني - أورد هذه الرواية في كتبه، وصحَّحها[٥٧]، وهذا يقطع شغب كل من أراد الطعن في سندها!

وقد حاول بعضهم تضعيف هذه الرواية كعادتهم، وكأنهم أخذوا عهداً على أنفسهم أن يطمسوا كل كرامة لنبيِّنا محمد ﷺ، وأن يجحدوا كل معجزة له، فأعلّوا هذا الحديث بعدة أمور، نذكر منها:

---

(٥٦) فتح الباري ٢/ ٤٩٥.

(٥٧) قال ابن كثير في البداية والنهاية ٧/ ٩٠: وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو نصر بن قتادة ... عن مالك، قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر بن الخطاب، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله استسق الله لأمتك، فإنهم قد هلكوا. فأتاه رسول الله ﷺ في المنام، فقال: إيت عمر، فأقرئه مني السلام، وأخبره أنهم مسقون، وقل له: عليك بالكيس الكيس. فأتى الرجل فأخبر عمر، فقال: يا رب ما آلوا إلا ما عجزت عنه. وهذا إسناد صحيح.

١- **تدليس الأعمش:** فإنه من المعلوم أن الأعمش مدلِّس، فلا يُقبل منه إلا ما صرَّح بسماعه، وهذه الرواية معنعنة، لم يصرّح فيها بالسماع، وعليه فهي رواية ساقطة مردودة.

والجواب: أن الذهبي أجاب على هذا الإشكال، فقال في ميزانه: متى قال - الأعمش -: «عن» تطرَّق إليه احتمال التدليس، إلا في شيوخ له أكثر عنهم: كإبراهيم، وابن أبي وائل، وأبي صالح السمان، فإن روايته عن هذا الصنف محمولة على الاتصال...(٥٨).

قلت: هذه الرواية رواها الأعمش عن أبي صالح السمان، فتكون محمولة على السماع، فلا إشكال فيها(٥٩).

٢- **جهالة مالك الدار:** قال بعضهم: إن مالك الدار مجهول، ولا يصح أن نأخذ دين الله من المجاهيل.

والجواب: أنه يكفي مالك الدار توثيقاً وتعديلاً أن عمر بن الخطاب استأمنه على بيت مال المسلمين! فأي شهادة بالعدالة أعظم من هذه؟!

ثم إنه قد ترجم له الحافظ ابن حجر في الإصابة في معرفة

---

(٥٨) ميزان الاعتدال ٢/ ٢٢٤.

(٥٩) لو أن القوم طبَّقوا هذا المنهج على كل كتبهم، يعني ردُّوا كل رواية لم يصرِّح فيها الأعمش بالسماع لنسفوا قدراً كبيراً من أحاديث الصحيحين؛ وذلك لأن سليمان بن مهران من الذين أكثروا الرواية عنه في مسلم والبخاري، لكن اتباع الهوى يمنعهم من ذلك في صحاحهم، في حين أن هذه الرواية لأنها تخالف هواهم ومشربهم حاولوا الطعن فيها بشتى الطرق؛ ليلبسوا على الناس، ويحولوا بينهم وبين اتباع الحق.

الصحابة، فقال: مالك بن عياض، مولى عمر، هو الذي يقال له مالك الدار، له إدراك، وسمع من أبي بكر الصديق، وروى عن الشيخين، ومعاذ، وأبي عبيدة، روى عنه أبو صالح السمان، وابناه عون وعبد الله ابنا مالك، وأخرج البخاري في التاريخ من طريق أبي صالح ذكوان عن مالك الدار أن عمر قال في قحوط المطر: يا رب لا آلو إلا ما عجزت عنه. وأخرجه ابن أبي خيثمة من هذا الوجه مطوَّلاً، قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله استسق الله لأمتك. فأتاه النبي ﷺ في المنام، فقال له: ائت عمر، فقل له: إنكم مستسقون، فعليك الكفين. قال: فبكى عمر، وقال: يا رب ما آلوا إلا ما عجزت عنه ...

وروينا في فوائد داود بن عمرو الضبي جمع البغوي من طريق عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع المخزومي عن مالك الدار، قال: دعاني عمر بن الخطاب يوماً، فإذا عنده صرَّة من ذهب، فيها أربعمائة دينار، فقال: اذهب بهذه إلى أبي عبيدة، فذكر قصته، وذكر ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين في أهل المدينة، قال: روى عن أبي بكر: وعمر: وكان معروفاً، وقال أبو عبيدة: ولاه عمر كيلة عيال عمر، فلما قدم عثمان ولاه القسم، فسمّي مالك الدار، وقال إسماعيل القاضي عن علي بن المديني: كان مالك الدار خازناً لعمر(٦٠).

(٦٠) الإصابة ٦/ ٢١٦.

كما ترجم له ابن حبان في الثقات، فقال: مالك بن عياض الدار، يروي عن عمر بن الخطاب، روى عنه أبو صالح السمان، وكان مولى لعمر بن الخطاب، أصله من جبلان مالك بن صحار الهمداني، يروي عن حذيفة، وابن عباس روى عنه الشعبي(٦١).

كما ترجم له البخاري، فقال: مالك بن عياض الدار، أن عمر قال في قحط: يا رب لا آلو إلا ما عجزت عنه. قاله علي، عن محمد بن خازمي، عن أبي صالحي، عن مالك الدار(٦٢).

وعليه، فإن الرجل تابعي ثقة كما مرَّ آنفاً، والأثر صحيح لا غبار عليه، وهو يدل على أن التوسّل بالنبي ﷺ كان متعارفاً بين الصحابة، ولهذا لم ينكر أحد على ذلك الرجل توسّله برسول الله ﷺ بعد موته، بل إن عمر تأثر بكلامه، وعمل به كما دلَّ عليه هذا الأثر، وروايات أخر(٦٣).

---

(٦١) الثقات ٥/ ٣٨٤.

(٦٢) التاريخ الكبير ٧/ ٣٠٤.

(٦٣) مثل ما أورده ابن كثير في البداية والنهاية ٧/ ٩٣، حيث قال: وقال سيف بن عمر، عن سهل بن يوسف السلمي، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، قال: كان عام الرمادة في آخر سنة سبع عشرة، وأول سنة ثماني عشرة، أصاب أهل المدينة وما حولها جوع، فهلك كثير من الناس، حتى جعلت الوحش تأوي إلى الإنس، فكان الناس بذلك وعمر كالمحصور عن أهل الأمصار، حتى أقبل بلال بن الحارث المزني، فاستأذن على عمر، فقال: أنا رسول رسول الله إليك، يقول لك رسول الله ﷺ: لقد عهدتك كيِّساً، وما زلت على ذلك، فما شأنك؟ قال: متى رأيت هذا؟ قال: البارحة. فخرج فنادى في الناس: الصلاة جامعة، فصلى بهم ركعتين، ثم قام فقال: أيها الناس أنشدكم الله هل تعلمون مني ←

والنتيجة أن التوسل والاستغاثة والطلب من رسول الله ﷺ سُنَّة نبويَّة، سار عليها الصحابة والسلف الصالح، ولم ينكرها إلا ابن تيمية في القرن الثامن.

ومنها: أثر الكُوَى: عن أبي الجوزاء أوس بن عبد الله، قال: قحط أهل المدينة قحطاً شديداً، فشكوا إلى عائشة، فقالت: انظروا قبر النبي ﷺ، فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف. قال: ففعلوا، فمطرنا مطراً، حتى نبت العشب، وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم، فسُمِّي عام الفتق.

أخرج هذا الأثر الدارمي في مقدمة سُنَنه تحت عنوان: باب ما أكرم الله به نبيَّه ﷺ بعد موته[٦٤].

والظاهر أن هذا العنوان يدل على أن الدارمي كان يعتقد بمضمون ما يورده من روايات، وإلا لو كان هدفه مجرد النقل لقال: باب ما روي بصيغة التمريض، ولم يعتبرها كرامة.

وكالعادة حاول السلفيون وعلى رأسهم الألباني إسقاط هذا الأثر، لكنهم لم يوفَّقوا في ذلك!

ومن نظر في كلامهم يجد أنهم أعلّوه بعدة علل سنناقشها

← أمراً غيره خير منه؟ فقالوا: اللهم لا، فقال: إن بلال بن الحارث يزعم ذية وذية. قالوا: صدق بلال، فاستغث بالله، ثم بالمسلمين. فبعث إليهم – وكان عمر عن ذلك محصوراً – فقال عمر: الله أكبر، بلغ البلاء مدته فانكشف ...

(٦٤) سنن الدارمي ١/ ٤٤.

تباعاً، منها:

١- **اختلاط عارم**: وعارم هو محمد بن فضل السدوسي، وهو ثقة ثبت كما قال الحافظ في التقريب[٦٥]، بل عدُّوه من الأئمة كما قال السيوطي في طبقات الحفاظ[٦٦]، كما أنه من رجال الصحيحين، له ستة أحاديث في مسلم، وحديث واحد في البخاري، أما اختلاطه فهو أمر مشهور لا يكاد يختلف فيه اثنان، لكن المهم هل هذا الحديث حدث به قبل اختلاطه أم بعده؟

الجواب نجده عند الذهبي في سير أعلام النبلاء حيث قال ردًّا على أصحاب هذا الادعاء: لقد فرج الدارقطني في شأن عارم، فقال: تغيَّر بأخرة، وما ظهر بعد اختلاطه حديث منكر، وهو ثقة، فانظر قول أمير المؤمنين في الحديث أبي الحسن الذي لم يأت بعد النسائي مثله، فأين هذا من قول ذلك الخساف المتصافح أبي حاتم بن حبان في عارم[٦٧].

وقال ابن حجر: قرأت بخط الذهبي: لم يقدر ابن حبان أن يسوق حديثاً منكراً، والقول فيه ما قاله الدارقطني[٦٨].

فعلى من يزعم خلاف ما قاله الدارقطني أن يأتي بحديث واحد منكر لعارم، ثم إنَّا لو وافقناهم جدلاً في قولهم فبماذا يحكمون على أحاديث عارم في الصحيحين؟

---

(٦٥) تقريب التهذيب: ٥٠٢، (ت ٦٢٢٦).

(٦٦) طبقات الحفاظ ١/ ١٧٤.

(٦٧) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٦٨.

(٦٨) تهذيب التهذيب ٩/ ٣٥٩.

إن هذا لشيء عجاب!!

٢- ضعف سعيد بن زيد: أعلّوا هذا الخبر بطعون وردت في المذكور عن يحيى بن سعيد(٦٩).

فنقول ردًّا على هؤلاء: إن الذهبي قد ذكر سعيد بن زيد في من تُكُلِّم فيه وهو موثق(٧٠)، وقد وثق هذا الراوي جملة من أئمة الجرح والتعديل، منهم الإمام أحمد بن حنبل، قال: ليس به بأس، وقال يحيى بن معين: ثقة، ووثقه ابن سعد، والعجلي، وسليمان بن حرب، والدارمي، وابن عدي، وابن حبان(٧١)، والأهم من كل هذا أن الرجل من رجال الصحيحين!

قال الحافظ في مقدمة الفتح: سعيد بن زيد بن درهم، أخو حماد بن زيد، له موضع واحد في الطهارة، وقال أحمد وغيره: لا بأس به. وقال النسائي: ليس بالقوي(٧٢).

وقال الذهبي في الكاشف: روى له البخاري معلقاً، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجة، أبو الحسن أخو حماد،

---

(٦٩) كان يحيى بن سعيد سيِّئ الرأي في سعيد بن زيد، فقد كان لا يستمريه كما نقل ذلك ابن حجر في تهذيب التهذيب ٤/ ٢٩، ولا ندري ما سبب سوء رأيه في سعيد بن زيد، خصوصاً أن اللفظ ليس من الألفاظ الدالة على الجرح المفسَّر، وإنما الأمر أقرب إلى خلاف شخصي، وكما قررنا فيما سبق أن الجرح لا يقبل إلا مفسَّراً. وعليه، فإن هذا الكلام يُرد على صاحبه، ولا يعتد به.

(٧٠) تهذيب التهذيب ٤/ ٢٩.

(٧١) نفس المصدر.

(٧٢) مقدمة فتح الباري: ٤٥٧.

عن عبد العزيز بن صهيب، وابن جدعان، وعنه عارم، ومسلم، قال جماعة: ليس بالقوي، ووثَّقه ابن معين[(٧٣)].

وخلاصة الكلام أن سعيد بن زيد ثقة، من رجال الصحيحين، لم يرد فيه جرح مفسَّر، ولو ضعَّفنا كل رواية ورد فيها راوٍ ضعيف فلن تسلم أي رواية في كتب أهل السنة والجماعة، كما اعترف بذلك البدر الزركشي في نكته على مقدمة ابن الصلاح[(٧٤)].

ولأجل أنه لا يوجد عندهم أحد عند التحقيق سالماً من الطعون، أوجدوا قواعد للخروج من هذا المأزق، فلم يقدِّموا الجرح على التعديل مطلقاً، وفي هذا الصدد يقول السبكي: فإنك إذا سمعت أنّ الجرح مقدَّم على التعديل، ورأيت الجرح والتعديل، وكنت غرًّا بالأمور، أو فدماً مقتصراً على منقول الأصول، حسبت أنّ العمل على جرحه، فإياك ثم إياك، والحذر كل الحذر من هذا الحسبان، بل الصواب عندنا أنّ من ثبتت إمامته وعدالته، وكثر مادحوه ومزكّوه، وندر جارحه، وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه، من تعصّب مذهبي أو غيره، فإنا لا نلتفت إلى الجرح فيه، ونعمل فيه بالعدالة، وإلا فلو فتحنا هذا الباب أو أخذنا تقديم الجرح على إطلاقه لما سلم لنا أحد من الأئمة، إذْ ما من إمام إلا

(٧٣) الكاشف ١/ ٣١٤.

(٧٤) قال البدر الزركشي في النكت على مقدمة ابن الصلاح، ص ٢٥٧: ولو ذهب العلماء إلى ترك كل من تكلم فيه لم يبق بأيدي أهل هذا الشأن من الحديث إلا اليسير، بل لم يبق شيء، ومن الذي ينجو من الناس سالماً.

وقد طعن فيه طاعنون، وهلك فيه هالكون[٧٥].

٣- حال عمرو بن مالك النكري: اعتبره البعض مجهول، وحاول آخرون تضعيفه بناءً على تعصّبهم لا غير، وإلا فإن الرجل ثقة، ترجم له ابن حبان في الثقات، فقال: عمرو بن مالك النكري، كنيته أبو مالك، من أهل البصرة، يروي عن أبي الجوزاء، روى عنه حماد بن زيد، وجعفر بن سليمان، وابنه يحيى بن عمرو، ويعتبر حديثه من غير رواية ابنه عنه، مات سنة تسع وعشرين ومائة[٧٦].

بل ترجم له في كتابه مشاهير علماء الأنصار!! وفيه دلالة على أنه يرى الرجل من العلماء المعروفين، وليس كما يدَّعي أتباع ابن تيمية أنه مجهول ضعيف.

قال ابن حبّان: عمرو بن مالك النكري أبو مالك، والد يحيى بن عمرو، وقعت المناكير في حديثه من رواية ابنه عنه، وهو في نفسه صدوق اللهجة، مات سنة تسع وعشرين ومائة[٧٧].

وكذلك الذهبي الذي يعتبر متشدِّداً في الجرح والتعديل قد وثقه أيضاً في كتابه الكاشف، فقال: عمرو بن مالك النكري، عن أبي الجوزاء، وغيره، وعنه ابنه يحيى، وعباد بن عباد، وجماعة، وُثِّق، مات سنة ١٢٩[٧٨].

---

(٧٥) طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ٩.

(٧٦) الثقات ٧/ ٢٢٨.

(٧٧) مشاهير علماء الأنصار: ٢٢٤.

(٧٨) الكاشف ٢/ ٣٢٩.

وبالتالي فالرجل ثقة لا مطعن فيه، أما العجيب في الموضوع فنجد أن الألباني قد أسقط الرواية لضعف عمرو بن مالك النكري، إلا أنه رجع فصحَّح رواية في سندها نفس هذا الراوي، بل وثقه!

قال في السلسلة الضعيفة ردًّا على تحسين الحافظ المنذري والهيثمي لرواية الرجل: وفيما قالاه نظر، فإن عمراً هذا لم يوثقه غير ابن حبان، وهو متساهل في التوثيق، حتى إنه ليوثق المجهولين عند الأئمة النقاد[٧٩].

ثم قال في سلسلته الصحيحة: أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٢٧١٢): حدثنا نوح بن قيس، قال: حدثني عمرو بن مالك النكري، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس، قال: ... قلت: وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، رجال مسلم، غير عمرو بن مالك النكري، وهو ثقة، كما قال الذهبي في (الميزان)، ذكره فيه تمييزاً، ووثَّقه أيضاً من صحَّح حديثه هذا ممن يأتي ذكرهم[٨٠].

فيا للعجب من الشيخ الألباني كيف يناقض نفسه، ويثبت أن مقياسه في تصحيح الحديث وتضعيفه هو مجرد الهوى![٨١].

---

(٧٩) السلسلة الضعيفة ١/ ١٣١.

(٨٠) السلسلة الصحيحة ٥/ ٦٠٨.

(٨١) من هذا التناقض العجيب نفهم كيف يتعامل هؤلاء مع النصوص الشرعية، وتطبيقهم لعلم الحديث عندهم، حيث إن الأمر هو مجرد اتباع الأهواء، فالصحيح هو ما وافق هواهم، وما خدم مصالحهم، والضعيف هو ما خالف ما اعتقدوه، وما احتج به مخالفوهم من المسلمين، والشيخ الألباني كثيراً ما يقع ←

٤- **سماع أبي الجوزاء من عائشة:** فقد حاول البعض نفي سماع أبي الجوزاء من عائشة، وعليه فالرواية تكون مرسلة، لا يصح أن يحتج بها.

وللجواب عن ذلك نقول: اقرؤوا صحيح مسلم لتجدوا أن مسلماً روى في صحيحه روايات عديدة عن أبي الجوزاء عن عائشة.

قال مسلم في صحيحه: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا أبو خالد يعني الأحمر، عن حسين المعلم، قال: ح وحدثنا إسحق بن إبراهيم واللفظ له، قال: أخبرنا عيسى بن يونس، حدثنا حسين المعلم، عن بديل بن ميسرة، عن أبي الجوزاء، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يستفتح الصلاة بالتكبير والقراءة، وكان

← في ذلك، حيث تجده يناقض نفسه في نفس الكتاب، لا يفصل قوله الأول عن الثاني إلا وريقات.

وقد اهتم السيد حسن السقاف بتتبع زلات الألباني وتناقضاته، فصنَّف كتاباً من ثلاثة أجزاء، أسماه (تناقضات الألباني الواضحات)، جمع فيه كل ما وجده من تناقضاته، وكم أتمنى أن يقوم بعض الباحثين بتأليف كتاب يُتتبَّع فيه تناقضات ابن تيمية أيضاً، ومخالفاته في تضعيف الأحاديث الحسنة أو الصحيحة، لمجرد أنها تخالف عقيدته، فإن ابن تيمية ليس أفضل حالاً من الألباني، فإنه يناقض نفسه في بعض الأحيان في نفس الصفحة!!

نرجو من كل المسلمين الذين يقلدون هؤلاء في تضعيف الأحاديث وتصحيحها، أن ينتبهوا إلى كل ما يصدر منهم، وألا يسلموا لهم عندما يقولون: «هذا حديث ضعيف وهذا موضوع»، فإنهم يردّون الأحاديث التي لا يرتضون معناها، متعللين بضعف أسانيدها! ولذلك ضعَّفوا كثيراً مما ورد في فضائل أهل البيت، وميعوا ما ورد في الصحيحين منها، مبالغة في الرد على الشيعة.

إذا ركع لم يشخص رأسه، ولم يصوبه، ولكن بين ذلك، وكان إذا رفع رأسه من الركوع لم يسجد حتى يستوي قائماً، وكان إذا رفع رأسه من السجدة لم يسجد حتى يستوي جالساً، وكان يقول في كل ركعتين: التحية، وكان يفرش رجله اليسرى، وينصب رجله اليمنى، وكان ينهى عن عقبة الشيطان، وينهى أن يفترش الرجل ذراعيه افتراش السبع، وكان يختم الصلاة بالتسليم[٨٢].

٥- أما العلة الأخيرة وهي قاصمة الظهر فقولهم: إن الأثر موقوف على عائشة، وليس فيه من أوامر النبي ﷺ، ولا من توجيهاته شيء، فلا يكون حجة علينا!

والجواب: أنه يلزم هؤلاء أن يقولوا: إن عائشة كانت لا تميَّز بين ما هو شرك وما ليس بشرك، وأنها حثت الناس على أن يفعلوا فعلاً شركيًّا، وأن الأفعال الشركية ربما تنفع الناس أحياناً، كما انتفع الناس بفتح الكوى على قبر رسول الله ﷺ، حيث سقوا بعد طول القحط والجدب!!

ثم يلزم هؤلاء أن يدَّعوا أنهم أعلم بكتاب الله عزَّ وجل من عائشة، التي يرون أن كثيراً من الصحابة كانوا يرجعون إليها في الفتيا، حتى ألف الزركشي كتاباً حول استدراكات عائشة على الصحابة!

وهذا الأثر فيه دلالة واضحة على جواز التوسّل بالنبي ﷺ والتوسّل بقبره الشريف، كما أنه يدل على أنه لا فرق بين حياته ﷺ

---

(٨٢) صحيح مسلم ٢/ ٥٤.

ومماته؛ لأن آثاره وكراماته باقية، وما اختصه الله به باقٍ إلى قيام الساعة.

ومنها: أثر ابن عمر: عن عبد الرحمن بن سعد: خدرت رِجْل ابن عمر، فقال له رجل: اذكر أحبَّ الناس إليك، فقال: «يا محمد»، فكأنما نشط من عقال.

وهذا الخبر أخرجه البخاري في كتابه الأدب المفرد: (٢٦١)، وابن السني في عمل اليوم والليلة: (٥٥)، وفيه استغاث عبد الله بن عمر برسول الله ﷺ طلباً لإزالة الخدر عن رِجْله، وقد تحقَّق له ذلك.

وقد أورد المخالفون عدة اعتراضات على هذا الخبر؛ لإسقاطه عن الاعتبار، وإبطال الاحتجاج به عليهم، منها:

١- **عنعنة السبيعي**: إذ أن أبا إسحاق السبيعي مدلِّس، لا تقبل عامة رواياته إلا ما صرَّح فيها بالسماع، وهذه الرواية معنعنة، فلا بد من ردِّها.

والجواب على ذلك: أن من جملة الذين رووا هذا الخبر عن أبي إسحاق هو شعبة كما في كتاب غريب الحديث[٨٣]، ومن المعلوم عند أهل الصنعة أن ما رواه شعبة عن أبي إسحاق محمول على السماع؛ لأن شعبة قال: كفيتكم تدليس ثلاثة: الأعمش، وأبي إسحاق، وقتادة[٨٤]. وعليه، فتدليس السبيعي في هذا المورد لا

---

(٨٣) غريب الحديث (ح ٧٥٦).

(٨٤) تعريف أهل التقديس: ٥٩.

يعتبر علة قادحة في الرواية.

٢- اختلاط السبيعي: فإن أبا إسحاق مختلط، والمختلط لا تقبل روايته إذا لم نحرز صدورها منه قبل اختلاطه.

والجواب: أن راوي الخبر عن السبيعي كما في لفظ الأدب المفرد(٨٥) هو الثوري، وقد قال الحافظ ابن حجر: والثوري وهو أثبت الناس فيه(٨٦).

وعليه، فرواية الثوري عنه تعتبر في عداد ما رواه السبيعي قبل اختلاطه، فيسقط هذا الإيراد عن الاعتبار.

٣- جهالة عبد الرحمن بن سعد: قال بعضهم: «إنه مجهول»، وجهالة أحد الرواة تجعل الرواية ضعيفة السند.

والجواب: أن الرجل قد ترجم له في أكثر من كتاب، بل وثَّقه البعض، ولم يرد فيه أي طعن!

فقد قال البخاري في تاريخه: عبد الرحمن بن سعد مولى لابن عمر القرشي، وكان يكون بالكوفة، سمع ابن عمر رضي الله عنهما، روى عنه منصور(٨٧).

وقال ابن حجر: عبد الرحمن بن سعد القرشي مولى ابن عمر، كوفي، وثقه النسائي، من الثالثة(٨٨).

---

(٨٥) الأدب المفرد:٣٣٥.

(٨٦) تهذيب التهذيب ٨/ ٥٧.

(٨٧) التاريخ الكبير ٥/ ٢٨٧.

(٨٨) تقريب التهذيب ١/ ٥٧١.

وذكره ابن حبان في ثقاته، وقال: عبد الرحمن بن سعد مولى لآل عمر، يروى عن ابن عمر أن النبي ﷺ على بعيره في السفر، روى عنه منصور بن المعتمر السلمي[٨٩].

إذن فالرجل ثقة، لا إشكال في وثاقته على مباني القوم، وهو صالح الرواية، وعليه، فإن هذا الأثر ثابت، لا يصح إنكاره، وهو دليل صحيح صريح على جواز الاستغاثة بالنبي ﷺ بعد موته اقتداءً بابن عمر.

ولعل علماء أهل السنة يوافقون على هذا الفهم، ولهذا نقلوا هذا الأثر في كتب الأذكار والأدعية والأعمال[٩٠]، ومنهم ابن تيمية الحراني الذي أورده في كتابه (الكلم الطيب)!

ومن المفارقات العجيبة أن الألباني في تحقيقه كتاب الكلم الطيب اعترض على ابن تيمية في إيراده للأثر المذكور، مدَّعياً أن هذا الخبر ظاهره منافٍ للتوحيد الذي حمل المؤلف رايته، وإن شكَّك البعض في نسبة هذا الكتاب لابن تيمية لاشتماله على مثل هذه الأخبار![٩١].

وبالتالي فهو يعلم أن معنى نداء ابن عمر للنبي ﷺ هو

---

(٨٩) الثقات ٥/ ٩٣.

(٩٠) ذكره ابن القيم في الوابل الصيب، والنووي في الأذكار، وابن السني في أعمال اليوم في الليلة، والشوكاني في تحفة الذاكرين، والحافظ السخاوي في القول البديع، وغيرهم.

(٩١) الكلم الطيب لابن تيمية بتحقيق الألباني: ٥٥.

استغاثة به، وهو ما يعتبرونه اليوم شركاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فلم يسلم من تكفيرهم حتى ابن عمر بن الخطاب بعد أن بدَّعه ابن تيميةّ![٩٢].

(٩٢) قال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم، ص ٣٨٩: فأما قصد الصلاة في تلك البقاع التي صلى فيها اتفاقاً فهذا لم ينقل عن غير ابن عمر من الصحابة...
إلى أن قال: وتحرِّي هذا ليس من سنة الخلفاء الراشدين، بل هو مما ابتُدع، وقول الصحابي وفعله إذا خالفه نظيره ليس بحجة، فكيف إذا انفرد به عن جماهير الصحابة. وأيضاً فإن تحرِّي الصلاة فيها ذريعة إلى اتخاذها مساجد، والتشبّه بأهل الكتاب، مما نهينا عن التشبه بهم فيه، وذلك ذريعة إلى الشرك بالله!!

سيرة السلف

ذكرنا في ما مرّ النصوص الشرعية من الأحاديث النبوية الشريفة ومن سيرة الصحابة، التي تدل على جواز التوسّل والاستغاثة، ولا سيما بسيِّد الخلق محمد ﷺ.

ولعل الشيء الذي ينبغي أن نشير إليه أيضاً هو سيرة السلف الصالح، والشهرة العملية بين أصحاب المذاهب الإسلامية المعروفة، ولا سيما إذا كان الكلام يدور حول أئمة هذه المذاهب وكبار العلماء فيها.

المذهب المالكي:

أجمع فقهاء المذهب المالكي كلهم بلا استثناء على جواز التوسّل والاستغاثة بالنبي ﷺ وبغيره من الصالحين، وهذه أقوالهم نضعها بين أيديكم:

ونبدأ بإمام المذهب ومؤسِّسه: مالك بن أنس، وهو أشهر من أن يعرَّف، فقد نقل عنه القاضي عياض في الشفا مناظرة جرت بينه وبين الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور حول التوسل، فقال:

ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدَّب قوماً، فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾

الآية [الحجرات: ٢]، ومدح قوماً، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ الآية [الحجرات: ٣]، وذمَّ قوماً، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ﴾ [الحجرات: ٤] الآية، وإن حرمته ميتاً كحرمته حيًّا. فاستكان لها أبو جعفر، وقال: يا أبا عبد الله أَستقبلُ القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة؟ بل استقبله، واستشفع به، فيشفعه الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ الآية [النساء: ٦٤][٩٣].

وهذه القصة صحَّحها كثير من العلماء الحفاظ، منهم: السبكي في (شفاء السقام)، حيث قال: وقد ذكر القاضي عياض إسنادها، وهو إسناد جيد[٩٤].

والزرقاني في (شرح المواهب اللدنية)، قال: ورواها ابن فهد بإسناد جيد، ورواها القاضي عياض في الشفاء بإسناد صحيح، رجاله ثقات، ليس في إسنادها وضَّاع ولا كذَّاب[٩٥].

وصحَّحها كذلك أحمد زيني دحلان، قال: ذكره القاضي عياض في الشفاء، وساقه بإسناد صحيح[٩٦].

أما بخصوص انكار ابن تيمية لهذه القصة فقد كفانا مؤونة

---

(٩٣) الشفا ٢/ ٤١.

(٩٤) شفاء السقام: ٢٨٤.

(٩٥) شرح المواهب اللدنية ٣/ ٤١٠.

(٩٦) الدرر السنية: ١٠.

الرد عليه ابن حجر الهيتمي المكي في (الجوهر المنظم)، حيث قال: وانكار ابن تيمية لهذه الحكاية عن مالك حتى لا يرد عليه إنكاره التوسّل والتشفع من خرافاته وتهوراته، كيف وقد جاءت عنه بالسند الصحيح الذي لا مطعن فيه[٩٧].

وقال ابن الحاج المالكي في كتابه (المدخل): وأما عظيم جناب الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيأتي إليهم الزائر، ويتعيَّن عليه قصدهم من الأماكن البعيدة، فإذا جاء إليهم فليتَّصف بالذل، والانكسار، والمسكنة، والفقر، والفاقة، والحاجة، والاضطرار، والخضوع، ويحضر قلبه وخاطره إليهم، وإلى مشاهدتهم بعين قلبه، لا بعين بصره؛ لأنهم لا يبلون، ولا يتغيَّرون، ثم يثني على الله تعالى بما هو أهله، ثم يصلي عليهم، ويترضَّى عن أصحابهم، ثم يترحَّم على التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، ثم يتوسَّل إلى الله تعالى بهم في قضاء مآربه، ومغفرة ذنوبه، ويستغيث بهم، ويطلب حوائجه منهم، ويجزم بالإجابة ببركتهم، ويقوِّي حسن ظنه في ذلك، فإنهم باب الله المفتوح، وجرت سنته سبحانه وتعالى في قضاء الحوائج على أيديهم وبسببهم، ومن عجز عن الوصول إليهم فليرسل بالسلام عليهم، وذكر ما يحتاج إليه من حوائجه، ومغفرة ذنوبه، وستر عيوبه، إلى غير ذلك، فإنهم السادة الكرام، والكرام لا يردُّون من سألهم، ولا من توسَّل بهم، ولا من قصدهم، ولا من لجأ إليهم، هذا الكلام في زيارة الأنبياء،

---

(٩٧) الجوهر المنظم: ١٢٩.

والمرسلين عليهم الصلاة والسلام عموماً[٩٨].

وكلامه واضح في جواز التوسُّل، والاستغاثة، والتبرك بالنبي ﷺ وبغيره من الأنبياء عليهم السلام.

أما الإمام الصاوي الذي كان معاصراً لقيام دعوة محمد بن عبد الوهاب فيقول: ومما يتأكَّد عند دخول المدينة المشرفة: الغسل، والتطيّب، وتجديد التوبة، وحين يدخل المسجد الشريف يأتي الروضة، فيصلي بها ركعتين تحية المسجد، ثم يأتي قبالة القبر الشريف، ويقول: السلام عليك يا سيِّدي يا رسول الله، السلام عليك يا سيِّدي يا حبيب الله، السلام عليك يا سيِّدي يا أشرف رسل الله، السلام عليك يا إمام المتقين، السلام عليك يا رحمة للعالمين، أشهد أنك رسول الله، بلَّغتَ الرسالة، وأدَّيتَ الأمانة، ونصحتَ الأمة، وكشفتَ الغمَّة، وجليتَ الظلمة، ونطقتَ بالحكمة، صلى الله عليك وعلى آلك وأصحابك أجمعين.

ثم يتوسَّل به في جميع مطلوباته، ثم ينتقل قبالة قبر أبي بكر، ويقول: السلام عليك يا خليفة رسول الله، السلام عليك يا صدِّيق رسول الله، أشهد أنك جاهدت في الله حق جهاده، جزاك الله عن أمة محمد خيراً، رضي الله عنك وأرضاك، وجعل الجنة متقلبك ومثواك، ورضي الله عن كل الصحابة أجمعين. ثم يتوسَّل به إلى رسول الله...[٩٩].

---

(٩٨) المدخل ١/ ٢٥٧.

(٩٩) حاشية الصاوي على الشرح الصغير ٣/ ٤٤٦.

وصنَّف الفقيه المالكي محمد بن موسى بن النعمان الشيخ أبو عبد الله المزالي التلمساني، الذي وصفه الصفدي في كتاب الوافي بالوفيات بالزاهد العابد العارف[١٠٠]، كتاباً أسماه: مصباح الظلام في المستغيثين بخير الآنام!

فهل يصح أن يقال لهذا الفقيه: إنه كافر، مشرك، بل هو أسوأ حالاً من أبي جهل وأبي لهب؟!

وكيف كان فإن فقهاء المالكية عملوا بهذه الفتاوى، ولهذا تراهم يبدؤون كتبهم بالدعاء والتوسل بالنبي ﷺ، ولا بأس أن نأخذ لذلك مثالين:

١- قال الإمام المفسِّر الفقيه المالكي القرطبي في كتابه التذكرة: قال الحسن: أول من يفر يوم القيامة من أبيه إبراهيم، وأول من يفر من ابنه نوح... قال القرطبي: فيرون أن هذه الآية نزلت فيهم، وهذا فرار التبري، نجانا الله من أهوال هذا اليوم بحق محمد نبي الرحمة، وصحبه الكرام البررة، وجعلنا ممن حشر في زمرتهم، ولا خالف بنا على طريقهم ومذهبهم، بمنه وكرمه، آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه[١٠١].

٢- توسَّل الزرقاني شارح الموطأ في كتابه، فقال: يا ربَّنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، وأسألك من فضلك متوسِّلاً إليك بأشرف رسلك، أن تجعله سبباً للفوز

---

(١٠٠) الوافي بالوفيات ٥/ ٨٩.

(١٠١) التذكرة: ٢٦٨.

برضاك ولقائك ولقاء حبيبك محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم[١٠٢].

وغيرهما من علماء المذهب المالكي كثير وكثير ممن أفتوا بجواز التوسّل والاستغاثة مطلقاً، فهل يرى أتباع ابن تيمية أن الإمام مالك بن أنس وأتباعه كفار مشركون؟!

المذهب الشافعي:

لعل أتباع المذهب الشافعي من أكثر الناس الذين اشتهروا بقبولهم للتوسّل والاستغاثة بالنبي ﷺ والصالحين؛ وذلك لأن أكثر الشافعية ينتمون إلى الطرق الصوفية الذين يلقِّبهم أتباع ابن تيمية بالقبورية والمبتدعة!

وسأذكر للقارئ العزيز أقوال نخبة من علماء الشافعية حول التوسل، منهم:

١- محمد بن أحمد بن حمزة، شمس الدين الرملي، المعروف بالشافعي الصغير، فقيه الديار المصرية في عصره، ومرجعها في الفتوى كما في كتاب الأعلام[١٠٣]: سُئل عما يقع من العامة من قولهم عند الشدائد: يا شيخ فلان، يا رسول الله، ونحو ذلك من الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين، والأولياء، والعلماء، والصالحين، فهل ذلك جائز أم لا؟ وهل للرسل، والأنبياء، والأولياء، والصالحين، والمشايخ، إغاثة بعد موتهم؟ وماذا يرجِّح

(١٠٢) شرح الموطأ ٤/ ٥٦٢.

(١٠٣) الأعلام ٦/ ٧.

ذلك؟

فأجاب: بأن الاستغاثة بالأنبياء، والمرسلين، والأولياء، والعلماء، والصالحين، جائزة، وللرسل، والأنبياء، والأولياء، والصالحين، إغاثة بعد موتهم؛ لأن معجزة الأنبياء وكرامات الأولياء لا تنقطع بموتهم، أما الأنبياء فلأنهم أحياء في قبورهم، يصلّون، ويحجّون، كما وردت به الأخبار، وتكون الإغاثة منهم معجزة لهم، وأما الأولياء فهي كرامة لهم، فإن أهل الحق على أنه يقع من الأولياء بقصد وبغير قصد أمور خارقة للعادة، يجريها الله تعالى بسببهم(١٠٤).

٢- **محيي الدين النووي شارح صحيح مسلم**: قال: ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله ﷺ، ويتوسَّل به في حق نفسه، ويستشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى، ومن أحسن ما يقول ما حكاه الماوردي والقاضي أبو الطيب وسائر أصحابنا عن العتبي مستحسنين له، قال: كنت جالساً عند قبر رسول الله ﷺ، فجاء أعرابي، فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، وقد جئتك مستغفراً من ذنبي، مستشفعاً بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول:

يا خيرَ مَن دُفنتْ بالقَاعِ أعظَمُه
فطابَ مِنْ طِيبِهنَّ القاعُ والأكَمُ

(١٠٤) فتاوى شمس الدين الرملي ٤/ ٣٨٢.

نفسي الفِداءُ لقبرٍ أنتَ ساكنُه
فيه العفافُ وفيه الجودُ والكَرمُ(١٠٥)

ثم انصرف، فحملتني عيناي، فرأيت النبي ﷺ في النوم، فقال: يا عتبي، الحق الأعرابي، فبشِّره بأن الله تعالى قد غفر له.

قال: ثم يتقدَّم إلى رأس القبر، فيقف بين الأسطوانة، ويستقبل القبلة، ويحمد الله تعالى، ويمجِّده، ويدعو لنفسه بما شاء، ولوالديه، ومن شاء من أقاربه، ومشايخه، وإخوانه، وسائر المسلمين، ثم يرجع إلى الروضة، فيكثر فيها من الدعاء والصلاة، ويقف عند المنبر، ويدعو(١٠٦).

٣- **نور الدين السمهودي**: فإنه عقد باباً في كتابه الوفا، أسماه: (في توسّل الزائر، وتشفّعه به صلى الله تعالى عليه وسلم إلى ربِّه تعالى، واستقباله صلى الله تعالى عليه وسلم في سلامه، وتوسّله، ودعائه). قال: اعلم أن الاستغاثة والتشفّع بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وبجاهه وبركاته إلى ربِّه تعالى، من فعل الأنبياء والمرسلين، وسير السلف الصالحين، واقع في كل حال، قبل خلقه

(١٠٥) هذه القصة مشهورة جدًّا، ويعبَّر عليها بقصة العتبي، لا يكاد يخلو منها كتاب تفسير عند تعرضهم لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾، ولا يكاد يخلو منها كتاب فقه أيضاً، خصوصاً عند تعرّضهم لمبحث الحج والزيارة، وقد حسَّن النووي هذه الرواية، بل اعتبرها من أحسن ما ورد في الباب، ولذلك اعتمد عليها لبيان كيفية زيارة النبي ﷺ.

(١٠٦) المجموع شرح المهذب ٨/ ٢٧٥.

صلى الله تعالى عليه وسلم وبعد خلقه، في حياته الدنيوية، ومدة البرزخ، وعرصات القيامة... وقد يكون التّوسّل به ﷺ بطلب ذلك الأمر منه، بمعنى أنّه ﷺ قادرٌ على التّسبّب فيه بسؤاله وشفاعته إلى ربّه، فيعود إلى طلب دعائه وإن اختلفت العبارة. ومنه قول القائل له: أسألك مرافقتك في الجنّة -الحديث-، ولا يُقصد منه إلاّ كونه ﷺ سبباً وشافعاً[(١٠٧)].

٤- **تقي الدين الحصيني الدمشقي**: ولعل كلامه من أقوى ما قيل في هذا الباب، فإنه شبَّه المنكرين للتوسّل باليهود، بل هم أسوأ حالاً منهم، قال: ومن أنكر التوسّل والتشفّع به بعد موته، وأن حرمته زالت بموته، فقد أعلم الناس، ونادى على نفسه أنه أسوأ حالاً من اليهود الذين يتوسَّلون به قبل بروزه إلى الوجود، وأن في قلبه نزعة هي أخبث النزعات[(١٠٨)].

٥- **شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني** (صاحب كتاب إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري)، قال: فإنه ممن توسَّل أيضاً، بل واستغاث برسول الله ﷺ كما ذكر ذلك هو بنفسه، فإنه قال: وينبغي للزائر أن يكثر من الدعاء، والتضرع، والاستغاثة، والتشفع، والتوسل به صلى الله عليه [وآله] وسلم، فجدير بمن استشفع به أن يشفّعه الله تعالى فيه، واعلم أن الاستغاثة هي طلب الغوث، فالمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث، فلا فرق بأن يعبر بلفظ الاستغاثة، أو التوسل، أو التشفع، أو

---

(١٠٧) الوفا ٤/ ١٣٧١.

(١٠٨) دفع الشُّبَه عن الرسول والرسالة: ١٣٧.

التوجه؛ لأنهما من الجاه والوجاهة، ومعناه علو القدر والمنزلة، وقد يتوسَّل بصاحب جاه إلى من هو أعلى منه، ثم إن كلا من الاستغاثة، والتوسل، والتشفع، والتوجه بالنبي ﷺ كما ذكره في تحقيق النصرة ومصباح الظلام واقع في كل حال...

ولقد كان حصل لي داء أعيا دواؤه الأطباء، وأقمت به سنين، فاستغثت به ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة بمكة زادها الله شرفاً، ومنَّ عليَّ بالعود في عافية بلا محنة، فبينا أنا نائم إذ جاء رجل معه قرطاس يكتب فيه: هذا دواء لداء أحمد بن القسطلاني من الحضرة الشريفة بعد الإذن الشريف النبوي، ثم استيقظت، فلم أجد بي والله شيئاً مما كنت أجده، وحصل الشفاء ببركة النبي[(١٠٩)].

وهذا الذي فعله القسطلاني هو شرك أكبر مخرج من الملة عند السلفية، يوجب لصاحبه الخلود في النار كما تبين لنا من الفتاوى التي استفتحنا بها بحثنا، في حين أن الرجل إمام من أئمة الشافعية، ومن أبرز شرَّاح صحيح البخاري المشهود لهم بالعلم المعرفة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

المذهب الحنفي:

أما هذا المذهب فحدث ولا حرج، فجل كتب علماء المذهب مشحونة بفتاوى التوسل والاستغاثة بالنبي ﷺ، وبغيره من الأنبياء والمرسلين، والأولياء والصالحين!

---

(١٠٩) المواهب اللدنية ٣/ ٤١٧.

أما ما يتعلق بالفتاوى فنجد كل الكتب الفقهية تقريباً تعرَّضت للتوسل والاستغاثة، إما في باب زيارة النبي ﷺ، أو في باب الاستسقاء، وسنكتفي بذكر مثالاً واحد على ذلك:

قال الشرنبلالي في كتابه (مراقي الفلاح): (وينبغي ذلك) أي الاجتماع للاستسقاء بالمسجد النبوي (أيضاً لأهل مدينة النبي ﷺ)، وهذا أمر جلي؛ إذ لا يُستغاث وتستنزل الرحمة في مدينته المنورة بغير حضرته ومشاهدته في حادثة للمسلمين، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾، وهو المشفَّع في المذنبين، فيُتوسَّل إليه بصاحبيه، ويُتوسَّل بالجميع إلى الله تعالى، فلا مانع من الاجتماع عند حضرته، وإيقاف الدواب بباب المسجد لشفاعته[١١٠].

وهذا قول عجيب غريب، فإن الشرنبلالي يفتي بأنَّا إذا أردنا أن نتوسَّل بالنبي ﷺ، نتوجَّه إليه بصاحبيه، ثم نتوجَّه بهم إلى الله عزَّ وجل!

أي أن هناك واسطتين بين العبد وربِّه، فيكون هذا الفعل بالفكر التكفيري شركاً مركَّباً!

وكتب فقهاء الأحناف وعلمائهم مملوءة بالتوسّل بالنبي والآل عليهم السلام، فلا تكاد تجد عالماً إلا وقد استفتح كتابه بالدعاء والتوسل!

فهذا الفقيه ابن عابدين الحنفي يقول في مقدمة كتابه: وإني

---

(١١٠) مراقي الفلاح: ٢٠٤.

أسأله تعالى متوسِّلاً إليه بنبيِّه المكرم ﷺ، وبأهل طاعته من كل ذي مقام علي معظم، وبقدوتنا الإمام الأعظم، أن يسهِّل عليَّ ذلك من إنعامه، ويعينني على إكماله وإتمامه، وأن يعفو عن زللي، ويتقبل مني عملي، ويجعل ذلك خالصاً لوجهه الكريم[١١١].

ويقول الحافظ العيني في شرحه لصحيح البخاري: فها نحن نشرع في المقصود، بعون الملك المعبود، ونسأله الإعانة على الاختتام، متوسِّلاً بالنبي خير الأنام، وآله وصحبه الكرام[١١٢].

وقد نقل الشيخ محمد زاهد الكوثري الحنفي وكيل مشيخة الدولة العثمانية في عصره الكوثري الإجماع على مشروعية التوسل، فقال: وعلى التوسل بالأنبياء والصالحين أحياءً وأمواتاً جرت الأمة طبقة فطبقة[١١٣].

أما ما يردِّده بعضهم من أن أبا حنيفة قد كره الدعاء بهذا اللفظ: «اللهم اني أسألك بمعاقد العزِّ من عرشك»، وهو دليل على إنكاره للتوسّل، فهذا استدلال ضعيف، وحال المستدل حال الغريق الذي يتشبَّث بالقشة، وذلك لعدة أمور:

أولاً: أن ما روي عن أبي حنيفة - إن صحَّ عنه - هو كراهة تنزيه، وليس كراهة نفس الفعل؛ لأن هذا القول يورث التشبيه، خصوصاً عند ضعاف النفوس، كما نصَّ على ذلك الكاشاني في

(١١١) رد المحتار ١/ ٤.

(١١٢) عمدة القاري ١/ ٣٣.

(١١٣) مقالات الكوثري: ٤٥١.

(بدائع الصنائع)، حيث قال: ظاهر الرواية أن ظاهر هذا اللفظ يوهم التشبيه؛ لأن العرش خَلْق من خلائق الله تبارك وتعالى جلَّ وعلا، فاستحال أن يكون عز الله تبارك وتعالى معقوداً به، وظاهر الخبر الذي هو في حد الآحاد إذا كان موهماً للتشبيه فالكف عن العمل به أسلم[(١١٤)].

ولا يخفى أن هذا اللفظ ورد في بعض الأحاديث[(١١٥)]، فيجوز العمل به من باب التسامح في أدلة السنن إن كان سنده ضعيفاً عند أبي حنيفة أو غيره، خصوصاً أن الأمر يتعلق بدعاء، وأغلب الأدعية المأثورة غير مسندة.

ثم إن أبا يوسف القاضي تلميذ أبي حنيفة أفتى بجواز قراءة هذا الدعاء[(١١٦)]، مما يجعلنا نرتاب من صحة ما نُسب إلى أبي حنيفة؛

---

(١١٤) بدائع الصنائع ٥/ ١٢٦.

(١١٥) أخرج الطبراني ٢٥/ ١٢ بسنده عن صفية ودحيبة ابنتا عليبة أن قيلة بنت مخرمة كانت إذا أخذت حظها من المضجع بعد العتمة قالت: بسم الله، وأتوكَّل على الله، وضعت جنبي لربي، أستغفره لذنبي، حتى تقولها مراراً، ثم تقول: أعوذ بالله وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وشر ما ينزل في الأرض، وشر ما يخرج منها، وشر فتن النهار وطوارق الليل، إلا طارقاً يطرق بخير، آمنتُ بالله، اعتصمت بالله، الحمد لله الذي استسلم لقدرته كل شيء، والحمد لله الذي ذلَّ لعزَّته كل شيء، والحمد لله الذي تواضع لعظمته كل شيء، والحمد لله الذي خضع لملكه كل شيء، اللهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك، ومنتهى الرحمة من كتابك... الحديث.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٢٥: رواه الطبراني، وإسناده حسن.

(١١٦) قال في بدائع الصنائع ٥/ ١٢٦: وروي عن أبي يوسف أنه لا بأس بذلك؛ لورود الحديث.

إذ عادة ما تكون فتاوى الأستاذ والتلميذ متوافقة.

أخيراً نقول: إن أباحنيفة قد أفتى بجواز التعبد بالبغل والنعل، وجواز التوسل بهم إلى الله عزَّ وجل، وثبت هذا القول عليه بالسند الصحيح الذي لا مغمز فيه[١١٧]، فهل الذي يكره

---

(١١٧) قال الفسوي في كتابه المعرفة والتاريخ ١/٣٦٨: حدثني علي بن عثمان بن نفيل، حدثنا أبو مسهر، حدثنا يحيى بن حمزة - وسعيد يسمع -: أن أبا حنيفة قال: لو أن رجلاً عبد هذه النعل يتقرَّب بها إلى الله لم أر بذلك بأساً!! وهذا السند صحيح، كل رواته من الثقات المتَّفق على وثاقتهم، وهم:

١- **يحيى بن حمزة بن واقد الحضرمي**: ترجم له المزي في تهذيب الكمال ٣١/ ٢٧٩، وابن حجر في تهذيب التهذيب ١١/ ١٧٦، والذهبي في تاريخ الإسلام ١٧/ ٤٤٦، وقد وثَّقه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأبو حاتم الرازي، والدارمي، وأبو داود، والنسائي، والعجلي، وابن حجر.

٢- **عبد الأعلى بن مسهر بن عبد الأعلى**: ترجم له المزي في تهذيب الكمال ١٦/ ٣٧٠، والذهبي في الكاشف في من له رواية ٢/ ١٤٢، وابن حجر في تهذيب الكمال ٦/ ٩٠، وقد وثَّقه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأبو حاتم، والعجلي، وأبو داود، وابن حبان، والذهبي.

٣- **علي بن محمد بن عثمان بن سعيد النفيلي**: تقريب التهذيب ١/ ٦٩٩، تاريخ الإسلام ٢٠/ ٤٠٥، وثق هذا الراوي: النسائي، وابن حبان، وابن حجر.

٤- **يعقوب بن سفيان الفسوي**: صاحب الكتاب، هو أجل عند القوم من أن يوثق، فهو إمام عندهم في الحديث والرواية، وهو صاحب كتب ومصنفات.

إذن فسند الخبر إلى أبي حنيفة صحيح، ولا توجد أي علة فيه، إضافة إلى هذا فإن محقق كتاب (تاريخ بغداد) الدكتور بشار عواد معروف قد اعترف بصحة السند إلى أبي حنيفة، مما يقطع دابر كل من حاول أن يطعن في هذا الخبر ونفيه عن أبي حنيفة. ←

التوسّل بالعرش يمكن أن يجيز التوسّل بل وعبادة البغل والنعل؟

إن هذا لشيء عجاب!

المذهب الحنبلي:

ينتمي أغلب المنتسبين إلى المدرسة السلفية لهذا المذهب، ويحاولون دائماً أن يستمدّوا الشرعية لأفكارهم وعقائدهم وفتاواهم من خلال نسبتها إلى الإمام أحمد بن حنبل وأتباعه، حتى لا يقال عنهم إنهم فرقة حديثة، دخيلة، مبتدعة في الإسلام.

← ثم إن هذا الخبر لم يتفرَّد بذكره صاحب كتاب المعرفة والتاريخ، بل أورده الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٣/ ٣٦٩، وذكره ابن الجوزي في كتاب المنتظم في التاريخ ٣/ ٢٥، وابن حبان في كتاب المجروحين ٣/ ٧٣.

وقد حاول البعض أن يعل الخبر بعدم ثبوت سماع يحي بن حمزة من أبي حنيفة، فنقول ردًّا على هذا القول:

ثبوت المعاصرة كاف للاطمئنان باتصال السند، خصوصاً إذا كان الراوي من الثقات ومن غير المدلِّسين كما قرَّر ذلك مسلم في مقدمة صحيحه ١/ ٢٣ حيث قال: وهذا القول يرحمك الله في الطعن في الأسانيد قول مخترع مستحدث غير مسبوق صاحبه إليه، ولا مساعد له من أهل العلم عليه، وذلك أن القول الشائع المتَّفق عليه بين أهل العلم بالأخبار والروايات قديماً وحديثاً أن كل رجل ثقة روى عن مثله حديثاً وجائز ممكن له لقاؤه والسماع منه، لكونهما جميعاً كانا في عصر واحد وإن لم يأت في خبر قط أنهما اجتمعا ولا تشافها بكلام، فالرواية ثابتة، والحجة بها لازمة، إلا أن يكون هناك دلالة بينة أن هذا الراوي لم يلق من روى عنه، أو لم يسمع منه شيئاً، فأما والأمر مبهم على الإمكان الذي فسَّرنا، فالرواية على السماع أبداً حتى تكون الدلالة التي بيَّنَّا.

ويحيى بن حمزة لم ينفرد بنقل الخبر، فقد رواه أيضاً سعيد بن عبد العزيز كما نقل ذلك ابن حبان في المجروحين كما ذكرنا سابقاً.

إلا أن مثل هذه الادِّعاءات لم تنفعهم في شيء؛ لأن المتتبع لتاريخ المذهب الحنبلي لا يجد من وافقهم في إنكار التوسّل، بل بالعكس نجد أن غالبية أقطاب المذهب وافقوا بقية المسلمين، فأفتوا بجواز التوسّل والاستغاثة!

فهذا إمام المذهب أحمد بن حنبل قد أجاز ما أنكره السلفيون باعتراف الألباني، بل وابن تيمية!

قال الألباني في كتابه التوسّل: وأما ما عدا هذه الأنواع من التوسّلات ففيه خلاف، والذي نعتقده وندين الله تعالى أنه غير جائز ولا مشروع؛ لأنه لم يرد فيه دليل تقوم به الحجة، وقد أنكره العلماء المحقِّقون في العصور الإسلامية المتعاقبة، مع أنه قد قال ببعضه بعض الأئمة، فأجاز الإمام أحمد التوسّل بالرسول ﷺ وحده فقط، وأجاز غيره كالإمام الشوكاني التوسّل به وبغيره من الأنبياء والصالحين، ولكننا كشأننا في جميع الأمور الخلافية ندور مع الدليل حيث دار، ولا نتعصَّب(١١٨).

أقول: تتبَّعنا كلام الألباني، ولم نجد هذه الموضوعية، بل وجدناه يتعصَّب كثيراً تعصّباً أعمى، ويميل إلى الباطل، ويتغاضى عن كل الأدلة الشرعية الصحيحة!

وأما ابن تيمية فإنه قال في فتاويه: ولذلك قال أحمد في منسكه الذي كتبه للمروزي صاحبه: إنه يتوسَّل بالنبي ﷺ في دعائه(١١٩).

---

(١١٨) التوسل: ٤٣.

(١١٩) الفتاوى الكبرى ١/ ٣٥٢.

وهنا نتساءل: هل الإمام أحمد الذي أقرَّ بأنه يتوسّل بالنبي ﷺ بعد موته مشرك بنظر السلفيين؟

هذا ما ينبغي لهم أن يجيبوا عليه إجابة واضحة!!

وأما كتاب الفقه المعتمد عند أتباع المذهب الحنبلي، وهو كتاب (المغني) لابن قدامة، فإنه لم يخل هو أيضاً من الدعوة إلى التوسّل بالنبي ﷺ.

قال ابن قدامة: ويستحب زيارة قبر النبي ﷺ؛ لما روى الدارقطني بإسناده عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «من حجَّ فزار قبري بعد وفاتي، فكأنما زارني في حياتي»، وفي رواية: «من زار قبري وجبت له شفاعتي»، رواه باللفظ الأول سعيد، ثنا حفص بن سليمان، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عمر. وقال أحمد في رواية عبد الله، عن يزيد بن قسيط، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «ما من أحد يسلِّم عليَّ عند قبري إلا ردَّ الله عليَّ روحي، حتى أردَّ عليه السلام». وإذا حجَّ الذي لم يحج قط يعني من غير طريق الشام لا يأخذ على طريق المدينة؛ لأني أخاف أن يحدث به حدث، فينبغي أن يقصد مكة من أقصر الطرق، ولا يتشاغل بغيره، ويروى عن العتبي قال: كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ، فجاء أعرابي، فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾، وقد جئتك مستغفراً لذنبي، مستشفعاً بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول:

يا خيرَ مَن دُفنتْ بالقَاعِ أعظُمُه
فطابَ مِنْ طِيبِهنَّ القاعُ والأَكُمُ
نفسي الفِداءُ لقبرٍ أنتَ ساكنُه
فيه العفافُ وفيه الجودُ والكَرَمُ

ثم انصرف الأعرابي، فحملتني عيني، فنمت، فرأيت النبي ﷺ في النوم، فقال: يا عتبي الحق الأعرابي، فبشِّره أن الله قد غفر له. ويستحب لمن دخل المسجد أن يقدِّم رجله اليمنى، ثم يقول: «بسم الله والصلاة على رسول الله، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، واغفر لي، وافتح لي أبواب رحمتك». وإذا خرج قال مثل ذلك، وقال: «وافتح لي أبواب فضلك»؛ لما روي عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ علَّمها أن تقول ذلك إذا دخلت المسجد. ثم تأتي القبر، فتولي ظهرك القبلة، وتستقبل وسطه، وتقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا نبي الله وخيرته من خلقه، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أشهد أنك قد بلَّغت رسالات ربك، ونصحت لأمَّتك، ودعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وعبدتَ الله حتى أتاك اليقين، فصلى الله عليك كثيراً كما يحب ربنا ويرضى، اللهم اجز عنا نبينا أفضل ما جزيت أحداً من النبيين والمرسلين، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته، يغبطه به الأولون والآخرون، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلَّيت على إبراهيم وآل إبراهيم،

إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم إنك قلت وقولك الحق: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾، وقد أتيتك مستغفراً من ذنوبي، مستشفعاً بك إلى ربي، فأسألك يا رب أن توجب لي المغفرة، كما أوجبتها لمن أتاه في حياته، اللهم اجعله أول الشافعين، وأنجح السائلين، وأكرم الآخرين والأولين، برحمتك يا أرحم الراحمين[١٢٠].

بعد هذه الجولة في فتاوى أتباع المذاهب الإسلامية الأربعة المشهورة، يتبيَّن للقارئ العزيز أن التوسّل برسول الله ﷺ بعد موته، جائز، بل مستحب.

وبعد هذا نسأل: أين فقه السلفيين من كل ذلك؟

وما هو مصدره؟

وهل هو منقول عن السلف؟ أو هو فقه مستحدث؟

نختم الكلام بتنبيه القارئ العزيز إلى أن السلفيين أنفسهم لم يتَّفقوا على تحريم التوسّل بالأموات، بل اختلفوا فيه، وإليك ما قاله ثلاثة من كبار العلماء الذين هم إما من السلفية أو يُنسبون إليهم.

١ - **الحافظ ابن الجوزي**: شيخ الحنابلة في عصره، حيث عقد

---

(١٢٠) المغني ٣/ ٥٨٨.

في كتاب الوفا باباً كاملاً، أسماه: في الاستسقاء بقبره ﷺ!![١٢١].

بل إن ابن الجوزي ذكر في كتابه (التبصرة) أنه قد توسَّل صراحة بنبي الله إبراهيم عليه السلام، وبنبيِّنا محمد ﷺ، وبالمخلصين من هذه الأمة، فقال: اللهم إنَّا نتوسَّل إليك بالخليل في منزلته، والحبيب في رتبته، وكل مخلص في طاعته، أن تغفر لكل منا زلَّته يا كريم[١٢٢].

٢- محمد بن علي الشوكاني: هو فقيه مجتهد، لا يرى تقليد المذاهب، بل يعمل باجتهاده، قد أفتى وحث على التوسّل، فقال: ويتوسَّل إلى الله سبحانه بأنبيائه والصالحين، أقول: ومن التوسّل بالأنبياء ما أخرجه الترمذي، وقال: «حسن صحيح غريب»، والنسائي، وابن ماجة، وابن خزيمة في صحيحه، والحاكم، وقال: «صحيح على شرط البخاري ومسلم»، من حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه، أن أعمى أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله ادعُ الله أن يكشف لي عن بصري ... الخ[١٢٣].

قال الشوكاني: وفي الحديث دليل على جواز التوسل برسول الله ﷺ إلى الله عزَّ وجل، مع اعتقاد أن الفاعل هو الله سبحانه وتعالى، وأنه المعطي المانع، ما شاء كان، وما يشأ لم يكن[١٢٤].

---

(١٢١) الوفا بأحوال المصطفى: ٤٦٩.

(١٢٢) التبصرة ١/ ١٠١.

(١٢٣) تحفة الذاكرين: ٦٠.

(١٢٤) تحفة الذاكرين: ٢٠٨.

٣- **محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي**: ترجم له الزركلي في أعلامه ونعته بالسلفي[(١٢٥)]، قال في تفسيره: وبعد هذا كله أنا لا أرى بأساً في التوسل إلى الله تعالى بجاه النبي ﷺ عند الله تعالى حيًّا وميتاً، ويراد من الجاه معنى يرجع إلى صفة من صفاته تعالى، مثل أن يراد به المحبَّة التامَّة المستدعية عدم ردّه، وقبول شفاعته، فيكون معنى قول القائل: إلهي أتوسل بجاه نبيِّك ﷺ أن تقضي لي حاجتي: إلهي اجعل محبّتك له وسيلة في قضاء حاجتي، ولا فرق بين هذا وقولك: إلهي أتوسل برحمتك أن تفعل كذا، إذ معناه أيضاً إلهي اجعل رحمتك وسيلة في فعل كذا، بل لا أرى بأساً أيضاً بالإقسام على الله تعالى بجاهه ﷺ بهذا المعنى[(١٢٦)].

والنتيجة أن كل فقهاء المذاهب الأربعة الفقهية المشهورة يجيزون التوسّل، ويمارسونه، بل ويحثّون الناس عليه، بخلاف أتباع ابن تيمية فإنهم يحرِّمونه، ويمنعون الناس من فعله، بل ويكفِّرونهم عليه!

(١٢٥) الأعلام ٧/ ١٧٦.

(١٢٦) روح المعاني ٤/ ١٨٧.

محاولات التحريف

قد تكون هذه الحقائق صعبة على البعض، خصوصاً الذين أخذوا قناعاتهم من ابن تيمية ومن محمد بن عبد الوهاب، فحاولوا بكل الوسائل التلاعب بالكتب وبالروايات اخفاءً لهذه الحقائق، وطمساً للأدلة الصحيحة التي تقطع دابر كل معاند للحق!

وسأكتفي بذكر مثالين اثنين لهذا التلاعب.

١- أخرج البخاري في كتابه (الأدب المفرد) في (باب ما يقول الرجل إذا خدرت رجله)، بسنده عن عبد الرحمن بن سعد، قال: خدرت رجل ابن عمر، فقال له رجل: اذكر أحب الناس إليك. فقال: يا محمد.

وطبعات هذا الكتاب التي تمت بإشراف السلفيين أُسقط منها ياء النداء من «يا محمد»، فجاءت الكلمة: «محمد»، بخلاف الطبعات الأخرى التي طبعها غير السلفيين، فإنها طُبعت غير محرَّفة، بل بخلاف كل الكتب التي نقلت هذه الرواية عن الأدب المفرد كما ذكرنا آنفاً في تحقيقنا لهذا الأثر، حتى ادَّعى الشيخ سعد الشهراني في ردِّه على الأحباش أنه لا وجود لحرف النداء، فقال: قول ابن عمر : «محمد» بدون حرف النداء، وهذا هو المثبت في أوثق طبعات الأدب المفرد، والتي حقَّق أحدها الشيخ محمد فؤاد

عبد الباقي، والثانية التي حققها الشيخ فضل الله الجيلاني، وذكر في مقدمتها أنه راجع عدة مخطوطات ومطبوعات لتحرّي ضبط النص[١٢٧].

كما أنهم بذلوا كل ما في وسعهم لنفي وجود حرف النداء، فقال صالح بن عبد العزيز آل الشيخ في كتابه (هذه مفاهيمنا) ردًّا على هذه الرواية: قول ابن عمر: «محمد» ، بدون حرف النداء، والشائع عند العرب كما سيأتي استعمال يا النداء في تذكر الحبيب؛ ليكون أكثر استحضاراً في ذهن الخادرة رجله، فتنطلق[١٢٨].

٢- قال محقّق كتاب (طبقات المحدثين بأصبهان) في المقدمة: وذكر الذهبي عن أبي بكر بن علي أنه قال: كان ابن المقرئ - أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي الأصبهاني - يقول: كنت أنا والطبراني وأبو الشيخ بالمدينة المنورة، فضاق بنا الوقت، فواصلنا ذلك اليوم، فلما كان وقت العشاء، حضرتُ القبر، وشكوتُ إلى الله [كذا] الجوع، فقال لي الطبراني: اجلس، إما أن يكون الرزق أو الموت، فقمت أنا وأبو الشيخ، فحضر الباب عَلَوي، ففتحنا له، فإذا معه غلامان بقفتين فيهما شيء كثير، وقال: شكوتموني إلى النبي ﷺ؟ رأيته في النوم، فأمرني بحمل شيء إليكم...[١٢٩].

لكن عندما نرجع لأصل القصة عند الذهبي كما نقلها

---

(١٢٧) الرد على الأحباش: ٢٩٥ .

(١٢٨) هذه مفاهيمنا: ٤٥ .

(١٢٩) طبقات المحدثين بأصفهان، تحقيق عبد الغفور البلوشي ١/ ٧٠، طبعة دار الرسالة.

المصنف نجد أن كلمة «رسول» أسقطت فغيرت المعنى! فأصبحت الشكوى إلى الله عزَّ وجل، وليس إلى رسول الله ﷺ!

قال الذهبي: عن أبي بكر بن أبي علي، قال: كان ابن المقرئ يقول: كنت أنا، والطبراني ، وأبو الشيخ بالمدينة، فضاق بنا الوقت، فواصلنا ذلك اليوم، فلما كان وقت العشاء حضرت القبر، وقلت: يا رسول الله الجوع، فقال لي الطبراني: اجلس، فإما أن يكون الرزق أو الموت. فقمت أنا وأبو الشيخ، فحضر الباب علوي، ففتحنا له، فإذا معه غلامان بقفتين فيهما شيء كثير، وقال: شكوتموني إلى النبي ﷺ؟ رأيته في النوم، فأمرني بحمل شيء إليكم[١٣٠].

ومن خلال هذه الرواية يتبين أن الطبراني ومن كانا معه لم يدعوا الله مباشرة، وإنما توجَّهوا إلى رسول الله ﷺ، واستغاثوا به لسد جوعهم!

ولا ندري لم لا ينقل هؤلاء التراث بإمانة؟!

ولم يعبثون بالأحاديث ويحرّفونها؟!

فهل يرون أنفسهم أوصياء على عقول الناس وعلى عقائدهم؟!

وهل يرون لأنفسهم الولاية على التراث الإسلامي، وأن لهم

---

(١٣٠) أخرج الذهبي هذه القصة في تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٧٤، وفي سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٠١، وفي تاريخ الإسلام ٢٧/ ٣٩، ولم ينفرد بذكرها، بل سبقه الحافظ ابن الجوزي في كتاب الوفا، ص٤٧٠، فانظر إلى الأمانة العلمية وما حدث من الجور على الرواية، وكم لها من نظائر.

الحق في الجور عليه بحسب ما يريدون، حتى في المسائل التي أطبق على جوازها جميع المسلمين، ولم يخالف فيها إلا ابن تيمية وأتباعه من السلفيين، كالتوسل والاستشفاع وغيرهما؟

لذلك أوجه خطابي لشباب المسلمين المثقفين، فأقول لهم: لا تكتفوا بما هو مطبوع، فالقوم ليسوا بمستأمنين على ما عندهم، قارنوا بين الطبعات المختلفة وبين المخطوطات إن تمكنتم حتى تصلوا للحقيقة.

روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام في التوسّل

في ختام هذا البحث أضع بين يدي القارئ الكريم بعض الروايات الصحيحة الواردة عن أئمة أهل بيت النبوة عليهم السلام، المشتملة على الحث على التوجّه بهم إلى الله، والتوسل بحقِّهم عنده سبحانه.

منها: ما رواه الكليني قدس سره في الكافي، قال: عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان، وابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إذا دخلت المدينة فاغتسل قبل أن تدخلها، أو حين تدخلها، ثم تأتي قبر النبي صلى الله عليه وآله، ثم تقوم فتسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم تقوم عند الأسطوانة المقدمة من جانب القبر الأيمن عند رأس القبر عند زاوية القبر، وأنت مستقبل القبلة، ومنكبك الأيسر إلى جانب القبر، ومنكبك الأيمن مما يلي المنبر، فإنه موضع رأس رسول الله صلى الله عليه وآله، وتقول: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأشهد أنك رسول الله، وأشهد أنك محمد بن عبد الله، وأشهد أنك قد بلَّغت رسالات ربك، ونصحت لأمَّتك، وجاهدت في سبيل الله، وعبدت الله [مخلصاً] حتى أتاك اليقين، بالحكمة والموعظة الحسنة، وأدَّيتَ الذي عليك من الحق، وأنك قد رؤفت بالمؤمنين، وغلظت

على الكافرين، فبلغ الله بك أفضل شرف محل المكرمين، الحمد لله الذي استنقذنا بك من الشرك والضلالة، اللهم فاجعل صلواتك، وصلوات ملائكتك المقرَّبين، وعبادك الصالحين، وأنبيائك المرسلين، وأهل السماوات والأرضين، ومن سبَّح لك يا رب العالمين، من الأولين والآخرين، على محمد عبدك، ورسولك، ونبيِّك، وأمينك، ونجيِّك، وحبيبك، وصفيِّك، وخاصَّتك، وصفوتك، وخيرتك من خلقك، اللهم أعطه الدرجة والوسيلة من الجنة، وابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون، اللهم إنك قلت: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾، وإني أتيت نبيَّك مستغفراً، تائباً من ذنوبي، **وإني أتوجَّه بك إلى الله ربي وربّك ليغفر لي ذنوبي**»، وإن كانت لك حاجة فاجعل قبر النبي ﷺ خلف كتفيك، واستقبل القبلة، وارفع يديك، واسأل حاجتك، فإنك أحرى أن تقضى إن شاء الله[١٣١].

وهذه الرواية صحَّحها الشيخ المجلسي قدس سره في مرآة العقول[١٣٢]، والشيخ يوسف البحراني قدس سره في الحدائق الناضرة[١٣٣].

وهي تعلّمنا آداب زيارة النبي الأكرم ﷺ، وكيفية الدعاء عنده، والتوجّه به إلى الله عزَّ وجل.

---

(١٣١) الكافي ٤/ ٥٥٠.

(١٣٢) مرآة العقول ١٨\٢٦٠

(١٣٣) الحدائق الناضرة ١٧\٤٢٣.

ومنها: ما رواه الشيخ الصدوق قدس سره في أماليه، قال: حدثنا أبي رضي الله عنه، قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري، عن الحسن بن علي الكوفي، عن العباس بن عامر، عن أحمد بن رزق الغمشاني، عن يحيى بن أبي العلاء، عن جابر، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: إن عبداً مكث في النار سبعين خريفاً، والخريف سبعون سنة. قال: ثم إنه سأل الله عزَّ وجل بحق محمد وأهل بيته لما رحمتني. قال: فأوحى الله جلَّ جلاله إلى جبرئيل: أن اهبط إلى عبدي، فأخرجه. قال: يا رب، وكيف لي بالهبوط في النار؟ قال: إني قد أمرتها أن تكون عليك برداً وسلاماً. قال: يا رب، فما علمي بموضعه؟ فقال عزَّ وجل: إنه في جب من سجين. قال: فهبط في النار، فوجده وهو معقول على وجهه، فأخرجه، فقال عزَّ وجل: يا عبدي، كم لبثت تناشدني في النار؟ قال: ما أحصيه يا رب. قال: أما وعزَّتي لولا ما سألتني به لأطلت هوانك في النار، ولكنه حتمت على نفسي أن لا يسألني عبد بحق محمد وأهل بيته إلا غفرت له ما كان بيني وبينه، وقد غفرت لك اليوم[١٣٤].

أقول: سند هذه الرواية معتبر، وجابر المذكور هنا هو جابر بن يزيد الجعفي، وهو ثقة على المختار.

ومنها: الزيارة الجامعة التي رواها الشيخ الصدوق قدس سره في (من لا يحضره الفقيه)، وفيها قوله عليه السلام: اللهم إني لو وجدتُ

---

(١٣٤) أمالي الصدوق: ٧٧٠ .

شفعاء أقرب إليك من محمد وأهل بيته الأخيار الأئمة الأبرار لجعلتهم شفعائي، فبحقّهم الذي أوجبتَ لهم عليك أسألك أن تدخلني في جملة العارفين بهم وبحقهم، وفي زمرة المرحومين بشفاعتهم[(١٣٥)].

صحَّح هذه الرواية العلامة المجلسي قدس سره في البحار، قال: إنما بسطت الكلام في شرح تلك الزيارة قليلاً وإن لم أستوف حقَّها حذراً من الإطالة؛ لأنها أصح الزيارات سنداً، وأعمّها مورداً، وأفصحها لفظاً، وأبلغها معنىً، وأعلاها شأناً[(١٣٦)].

وقال السيد عبد الله شبر قدس سره: لا يخفي على أولي البصاير النقادة، وأرباب الأذهان الوقادة، وذوي العقول السليمة، وأصحاب الأفهام المستقيمة، أن الزيارة الجامعة الكبيرة أعظم الزيارات شأناً، وأعلاها مكانة ومكاناً، وأن فصاحة ألفاظها وفقراتها وبلاغة مضامينها وعباراتها تنادي بصدورها من عين صافية نبعت عن (ينابيع الوحي) والإلهام، وتدعو إلى أنها خرجت من ألسنة نواميس الدين ومعاقل الأنام، فإنها فوق كلام المخلوق وتحت كلام الخالق الملك العلام[(١٣٧)].

ومنها: ما رواه الكليني في الكافي، قال: عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن معاوية بن عمار، عن

---

(١٣٥) من لا يحضره الفقيه ١/ ٣٩١.

(١٣٦) بحار الانوار ٩٩/ ١٤٤.

(١٣٧) الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة: ٣١.

أبي عبد الله عليه السلام، قال: شعارنا: «يا محمد، يا محمد» وشعارنا يوم بدر: «يا نصر الله اقترب اقترب»، وشعار المسلمين يوم أحد: «يا نصر الله اقترب»، ويوم بني النضير: «يا روح القدس أرح»، ويوم بني قينقاع: «يا ربنا لا يغلبنك»، ويوم الطائف: «يا رضوان»، وشعار يوم حنين: «يا بني عبد الله، يا بني عبد الله»، ويوم الأحزاب: «حم لا يبصرون»، ويوم بني قريظة: «يا سلام أسلمهم»، ويوم المريسيع وهو يوم بني المصطلق: «ألا إلى الله الأمر»، ويوم الحديبية: «ألا لعنة الله على الظالمين»، ويوم خيبر يوم القموص: «يا علي آتهم من عل»، ويوم الفتح: «نحن عباد الله حقًّا حقًّا»، ويوم تبوك: «يا أَحد، يا صمد»، ويوم بني الملوح: «أمت أمت»، ويوم صفين: «يا نصر الله»، وشعار الحسين عليه السلام: «يا محمد»، وشعارنا: «يا محمد»[١٣٨].

وهذه الرواية حسَّنها العلامة المجلسي قدس سره في مرآة العقول، قال: الحديث الأول حسن[١٣٩].

وصحَّحها الشيخ هادي النجفي في موسوعة أحاديث أهل البيت، قال: صحيحة الإسناد[١٤٠].

وهي واضحة الدلالة على اشتمالها على عبارات الاستغاثة برسول الله صلى الله عليه وآله، ومن ضمنها عبارة: يا محمد.

---

(١٣٨) الكافي ٥/٤٧.

(١٣٩) مرآة العقول ١٨/٣٨٥.

(١٤٠) موسوعة احاديث اهل البيت ٨/٢٧٠ .

همسة في آذان السلفية

تبين مما سبق أن التوسل هي مسألة إجماعية بين أهل السنة والشيعة، ولم يخالف فيها إلا ابن تيمية الحراني في القرن الثامن الهجري، ولم يكن له سلف في ذلك، وقد أنكر التوسّل والاستغاثة بناءً على فهم سقيم لظواهر آيات القرآن الكريم، انفرد به، وكفَّر به اتباعُه بقية المسلمين!!

ولهذا نقول لإخواننا السلفية: إن فهمكم للقرآن الكريم غير ملزم لبقية المسلمين؛ لأنه ليس بالضرورة أن يكون هو الفهم الصحيح لكتاب الله، والتفسير قضية اجتهادية، وقد وقع الاختلاف فيها حتى بين كبار الصحابة، وكل واحد إما أن يكون كلامه صحيحاً يحتمل الخطأ، أو كلامه خطأ يحتمل الصواب، وكما نقل عن الإمام مالك بن أنس: كلٌّ يؤخذ منه ويُرَدّ إلا صاحب القبر مشيراً إلى النبي ﷺ.

كما أن تقييم الأحاديث والحكم عليها بالصحة أو الضعف هو أيضاً قضية اجتهادية، وكل من أجاد هذا العلم وعرف هذه الصنعة يجوز له الاجتهاد فيها، وهي ليست حكراً على طائفة معينة، أو على شخص مخصوص، وكذلك دراية الأحاديث النبوية وفهمها.

ولهذا فنحن نرجو من إخواننا الالتزام بهذه القواعد، وعدم الخروج عن الخطوط العريضة التي وضعها أهل هذا الفن، وعدم التسرع في تكفير الآخرين، والحكم عليه بالخروج من دائرة الإسلام، وعدم حصر الاجتهاد فيهم فقط، وأن يقبلوا الرأي المخالف، ويقارعوا آراء مخالفيهم بالحجة، ويناقشوها نقاشاً علميًّا، لا بالدرة والمهارشة، عملاً بقوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾، وقوله عزَّ وجل: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾.

نسأل الله تعالى أن يؤلِّف بين المسلمين، ويوحِّد صفوفهم، ويهديهم للحق الذي جاء به نبيّنا محمد ﷺ، إنه سميع قريب مجيب.

المصادر

القرآن الكريم.

(أ)

١- الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل البخاري.
٢- الأذكار النووية: محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي.
٣- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي.
٤- الإصابة في معرفة الصحابة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
٥- الأعلام: خير الدين الزركلي.
٦- الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية: أبو حفص عمر بن علي البزار.
٧- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني.
٨- الأمالي: الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين الصدوق.
٩- أمالي الأذكار في فضل صلاة التسبيح: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
١٠- الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة: السيد عبد الله

شبر.

(ب)

١١- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: الشيخ محمد باقر المجلسي.
١٢- البحر الزخار المعروف بمسند البزار: أبو بكر أحمد بن عمرو البزار.
١٣- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاشاني الحنفي.
١٤- البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي.

(ت)

١٥- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي الحنفي.
١٦- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي.
١٧- التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل البخاري.
١٨- التبصرة في الوعظ: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي.
١٩- تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين: محمد بن علي اليمني الشوكاني.
٢٠- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي.

٢١- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: زكي الدين عبد العظيم المنذري.
٢٢- تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
٢٣- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي.
٢٤- تقريب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
٢٥- تلخيص المستدرك على الصحيحين: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي.
٢٦- تناقضات الألباني الواضحات فيما وقع له في تصحيح الأحاديث وتضعيفها من أخطاء وغلطات: السيد حسن بن علي السقاف.
٢٧- تهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
٢٨- التوسل أنواعه وأحكامه: محمد ناصر الدين الألباني.

(ث)

٢٩- الثقات: محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي.

(ج)

٣٠- الجامع الصحيح: محمد بن إسماعيل البخاري.
٣١- الجامع الصحيح: مسلم بن الحجاج النيسابوري.
٣٢- الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي.
٣٣- الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم: شهاب الدين أحمد بن

محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي.

(ح)

٣٤- حاشية الصاوي على الشرح الصغير: أحمد بن محمد الصاوي المالكي.
٣٥- الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة: الشيخ يوسف البحراني.

(د)

٣٦- الدرر السنية في الرد على الوهابية: أحمد زيني دحلان المكي.
٣٧- الدعاء: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني.
٣٨- دفع الشبه عن الرسول والرسالة: أبو بكر محمد بن عبد المؤمن الحصني الدمشقي.
٣٩- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أحمد بن الحسين البيهقي.

(ذ)

٤٠- ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.

(ر)

٤١- رد المحتار على الدر المختار: محمد أمين بن عمر عابدين

الحنفي.
٤٢- الروح: شمس الدين محمد بن أبي بكر الذرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية.
٤٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود شكري الآلوسي.
٤٤- رياض الصالحين من حديث سيّد المرسلين: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي.

(س)

٤٥- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: محمد ناصر الدين الألباني.
٤٦- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: محمد ناصر الدين الألباني.
٤٧- السنن: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي.
٤٨- السنن: محمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجة.

(ش)

٤٩- شرح الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني.
٥٠- شرح الزرقاني لموطأ الإمام مالك: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني.
٥١- شفاء السقام في زيارة خير الأنام: القاضي علي بن عبد الكافي

الشافعي السبكي.
٥٢- الشفا بتعريف حقوق المصطفى: القاضي عياض بن موسى اليحصبي.

(ص)

٥٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري.

(ط)

٥٤- طبقات الحفاظ: جلال الدين السيوطي.
٥٥- طبقات الشافعية الكبرى: عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي.
٥٦- طبقات المحدِّثين بأصفهان: عبد الله بن حبان المعروف بأبي الشيخ.
٥٧- طرح التثريب في شرح التقريب: زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي.

(ع)

٥٨- عمدة القاري في شرح البخاري: بدر الدين محمود بن أحمد العيني.
٥٩- عمل اليوم والليلة: أحمد بن محمد بن إسحاق المعروف بابن السني.

(غ)

٦٠- غريب الحديث: إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم البغدادي الحَرْبي.

(ف)

٦١- فتاوى الرملي: شمس الدين محمد بن أحمد بن حمزة الرملي الشافعي.
٦٢- الفتاوى الكبرى: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني.
٦٣- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية.
٦٤- فتح الباري في شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
٦٥- فرقة الأحباش: نشأتها، عقائدها، آثارها: سعد بن علي الشمراني.

(ق)

٦٦- القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي.

(ك)

٦٧- الكاشف في من له رواية في الكتب الستة: شمس الدين أبو

عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي.
٦٨- الكافي: ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني الرازي.
الكلم الطيب: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني.
٦٩- الكامل في ضعفاء الرجال: عبد الله بن عدي الجرجاني.
٧٠- كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب (المعروف بالخصائص الكبرى): جلال الدين السيوطي.
٧١- الكفاية في علم الرواية: أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي.
٧٢- كيف نفهم التوحيد؟: محمد باشميل.

(م)

٧٣- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي.
٧٤- المجموع في شرح المهذب: محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي.
٧٥- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: شمس الدين محمد بن أبي بكر الذرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية.
٧٦- المدخل في الفقه المالكي: محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم بن لب التجيبي القرطبي المالكي المعروف بابن الحاج.
٧٧- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: الشيخ محمد باقر

المجلسي.
٧٨- مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح: حسن بن عمار الشرنبلالي.
٧٩- المستدرك على الصحيحين: الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري.
٨٠- المسند: أحمد بن علي بن المثنى الموصلي المعروف بأبي يعلى.
٨١- مسند أحمد: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني.
٨٢- مشاهير علماء الأمصار: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي.
٨٣- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة: أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز البوصيري.
٨٤- مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام: محمد بن موسى بن النعمان التلمساني.
٨٥- المصنف في الأحاديث والآثار: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة.
٨٦- المعجم الصغير: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني.
٨٧- المعجم الكبير: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني.
٨٨- المعرفة والتاريخ: يعقوب بن سفيان الفسوي.
٨٩- المغني: عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي.
٩٠- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من أخبار: زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي.
٩١- مقالات الكوثري: محمد زاهد بن حسن الكوثري.

٩٢- مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا: جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.
٩٣- من لا يحضره الفقيه: الشيخ محمد بن علي بن الحسين الصدوق.
٩٤- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني.
٩٥- موسوعة أحاديث أهل البيت: محمد هادي النجفي.
٩٦- ميزان الاعتدال في نقد الرجال: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.

(ن)

٩٧- النكت على مقدمة ابن الصلاح: بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي.
٩٨- نهاية الآمال في صحة وشرح حديث عرض الأعمال: عبد الله بن صديق الغماري.

(هـ)

٩٩- هذه مفاهيمنا: صالح آل الشيخ.

(و)

١٠٠- الوابل الصيب من الكلم الطيب: شمس الدين محمد بن أبي بكر الذرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية.
١٠١- الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي.

١٠٢- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: نور الدين علي بن عبد الله السمهودي.

١٠٣- الوفا بتعريف فضائل المصطفى: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي.

فهرس المحتويات

هذا الكتاب

يعتبر التوسل من المسائل الشائكة التي كثر فيها الأخذ والرد والشد والجذب بين سائر طوائف المسلمين.

وقد حاول المؤلف في هذا الكتاب مناقشة هذه المسألة والكشف عن أهم أدلة الطرفين ليصل إلى أن التوسل مسألة إجماعية بين المسلمين ولم يخالف فيها إلا أتباع ابن تيمية.